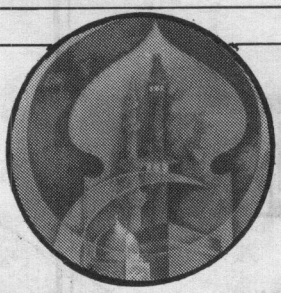

افتتاحية العدد

البدعة

بقلم
الرئيس العام
محمد صفوت نور الدين

يقول الله عز وجل : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

فالله العليم الحكيم أرسل نبيه الخاتم ﷺ وأنزل عليه شرعاً أكمله وأتم به النعمة وذكر أنه رضي لنا الإسلام دينا . ولا بد لكل مؤمن أن يرضى لنفسه ما رضيه الله تعالى له .

وأصحاب البدع يخالفون هذا الأصل بإحداثهم البدع ووقوعهم فيها ودعوتهم الناس إليها واعتقادهم أنها تقرب إلى الله تعالى .

يقول الشاطبي : البدعة طريقة في الدين مُخْترعةٌ تضاهي الطريقة الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه .

وفي هذا المقال نتحدث عن أضرار البدعة وأسبابها ، أما عن البدع المحدثة فهي كثيرة قد بينها العلماء في كتبهم منها كتاب الاعتصام للشاطبي وكتاب الباعث لأبي شامة والسنن والمبتدعات وغيرها .

التحذير من البدع :

وقد حذر النبي ﷺ أصحابه فَمَنّ بعدهم من البدع ومحدثات الأمور ، وأمرهم بالاتباع . وجاء في كتاب الله تعالى الأمر بالاتباع قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

أضرار البدع:

١- ادعاء حق التشريع للبشر واتخاذهم أرباباً من دون الله.

٢- ادعاء أن التشريع جاء ناقصاً وأنه يكمله بالبدعة الحدث.

٣- تلبيس الدين على الناس بحيث يعتقدون فيما ليس دينا

بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

قال بعض المفسرين : ﴿ وَلَا تَتَّبِعوا السُّبُلَ ﴾ أي البدع والشبهات .

وقال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ .

[النساء : ٥٩] .

وقد روى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَا مِن نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجلَّ في أمّة قَبْلي إلَّا كَانَ لَه مِنْ أمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ يَأْخُذُونَ بسنتهِ وَيَقْتَدونَ بِأَمْرِهِ ثُم إنها تَخْلُفُ مِنْ بَعْدهمْ خُلوف يقولون مَا لَا يَفْعَلونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدهُم بيده فَهوَ مؤْمِن وَمَنْ جاهَدَهمْ بِلسانِهِ فَهو مؤْمِن وَمَنْ جَاهَدهمْ بِقلْبِهِ فَهُوَ مؤْمن ولَيْس وَرَاءَ ذَلِك مِنَ الإيمانِ حَبَّة خَرْدَلٍ » .

ولقد كان النبي ﷺ يقول في خطبته : « أما بعد : فإنَّ خَيْرَ الحديث كتابُ الله وَخيرَ الْهَدْي هَدْيُ مَحمَّدٍ ﷺ وَشرَّ الْأمورِ مُحْدَثَاتُها وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وكُلَّ بِدْعةٍ ضَلَالة » [متفق عليه] .

أضـرار البـدع :

١ – ادعاء حق التشريع للبشر واتخاذهم أرباباً من دون الله تعالى : قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل : ١١٦] .

إن السنة الحسنة أمر حث عليه الشرع فعمل به رجل واقتدى به الناس فصار له مثل أجورهم دون أن ينقص من أجورهم شيء

٢ - اعتقاد أن التشريع جاء ناقصاً وأنه يكمله بالبدعة هذه والله تعالى يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

ومن وصية عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة « عليك بالسنة فإن السنة إنما سنّها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وتقوى » فإذا كان المبتدع يرى أن ابتداعه لم يكن إلا لخير الناس في دينهم فما أجدره بالحزن العميق على نفسه بموقفه من البدعة التي عرف الشارع ما فيها من خطأ وزلل وحمق .

٣ تلبيس الدين على الناس بحيث يعتقدون الدين فيما ليس ديناً كما هو قائم اليوم بشأن كثير من بدع المساجد والصلاة وغيرها من العبادة حتى إن من ترك سنة من السنن لم يلمه أحد وإن ترك البدعة هاجت لها أنوف ، والله تعالى يقول :

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

[آل عمران : ٧١] .

وإذا جئت تذكرهم بأن هذا ليس في شرع الله ألقى الشيطان على ألسنتهم ما يحتجون به لبدعتهم وأنهم بذلك إنما يحسنون صنعاً والله تعالى يقول : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

[الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤]

٤ - إن صاحب البدعة محروم من ثواب العمل « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنهُ فَهُوَ رَدّ » [متفق عليه] .

٥ - أن يُحرم يوم القيامة من الشرب من حوض النبي ﷺ ويدعو عليه النبي ﷺ في وقت هو أحوج ما يكون إلى شفاعته لحديث النبي ﷺ : « ألا لَيُذادَنَّ رجال عنْ حَوْضي كما يُذادُ الْبعيرُ الضَّالُّ ، أناديهِمْ ألا هَلُمَّ ألا هَلُمَّ فيُقالُ إنهُمْ قدْ بدَلوا بعْدك فأقول فسُحْقاً فسُحقاً فسُحقاً » .

[الموطأ والبخاري ومسلم . واللفظ للموطأ] .

أسباب الابتداع :

ترجع أسباب البدع غالباً إلى أربعة أشياء « كما قسمها الشاطبي في الاعتصام » .

الجهل بأدوات الفهم - الجهل بالمقاصد - تحسين الظن بالعقل - اتباع الهوى .

الجهل بأدوات الفهم :

أي بلسان العرب الذي نزل به القرآن وجاءت به السنة . من ذلك ما أحدثه الناس من الجهر بتسليم المؤذن عقب الأذان واستدلوا بحديث « إذَا سَمِعْتُمُ النِّداءَ فَقولوا مِثْلَ مَا يقُول ثمَّ صَلُّوا عَلَيَّ » [رواه مسلم] .

وأما الجهل بالمقاصد :

فبدع كثيرة منها الحيل التي توسع فيها أصحابها في إسقاط الصلاة وقاسوها على فدية الصوم ، والمحل ليس محل قياس وهذه البدع بدع مركبة تجمع بين البدعة واستحلال المعاصي وهي كثيرة في الطلاق والأيمان وغيرها .

تحسين الظن بالعقل :

يقول الشاطبي « إن الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون ؟ فعلْمُ الله لا يتناهى ومعلومات العبد

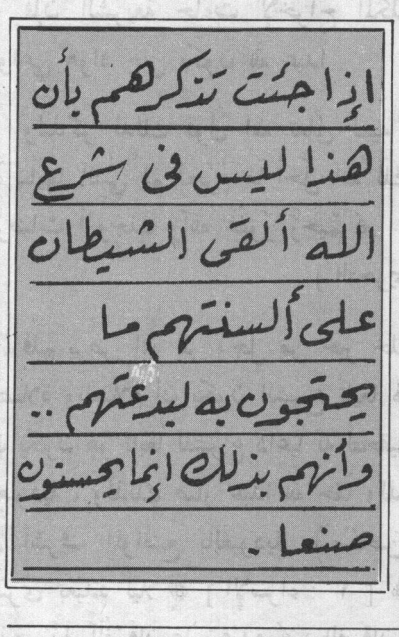

متناهية والمتناهي لا يساوى ما لا يتناهى » اهـ .

وأوضح الأمثلة على ذلك ما رواه الشيخان عن أنس « رضي الله عنه » قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا بها كأنهم تقالُّوها وقالوا أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبداً . وقال الآخر وأنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : « أنْتُمُ الَّذين قُلْتُمْ كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخْشاكُمْ لله وأتْقاكُمْ لهُ ولكنّي أصُوم وأفطرُ وأصلّي وأرْقُدُ وأتزوّجُ النّساء ، فمنْ رغب عنْ سُنّتي فليْس منّي » .

متابعة الهوى :

فإن الشريعة جاءت لإخراج المكلف من دواعي هواه حتى يكون لله عبداً .

ولنذكر لذلك قول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التحريم : ١]

فلم يرض الله عز وجل من خير خلقه عليه الصلاة والسلام أن يكون الشرع تابعاً لهواه بل أن يكون هو تابعاً للشرع داعياً له لتحقيق معنى العبودية ، ولذلك صار عبداً لله حقاً ولذا يذكر في أشرف المواضع بالعبودية ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء : ١] ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ [الفرقان : ١].

إذا كان ذلك بالنسبة للنبي الخاتم فَمَن دونه من العلماء فضلاً عن غيرهم لا يقبل منهم متابعة للأهواء بل تُرَدّ أهواؤهم إلى الشرع الشريف ، ومن متابعة الهوى جاءت جملة من البدع لا تقع تحت حصر .

ومما ساعد على انتشار البدع وكثرتها :

١ - سكوت العلماء عن بيان الشريعة حتى ألف الناس منهم السكوت على ذلك فظنها العامة شرعاً .

٢ - مجاملة العظماء والحكام كأن ترى وجيها أو عظيماً يقام لبعض أجداده مولد يجتمع فيه العلماء وتجاورهم البدع الكثيرة فيجاملونه ولا ينكرون من ذلك شيئاً .

٣ - اعتقاد العصمة في غير المعصوم وذلك هو المشهور عند أهل الطرق من المتصوفة ينقلون البدع بل المعاصي عن شيوخهم على أنها شرع وقربة لله تعالى .

إن الله جعل للعقول
في إدراكها حدًا
تنتهي إليه لا تتعداه
ولم يجعل لها
سبيلاً إلى الإدراك
في كل مطلوب

البدعة والسنة الحسنة :

روى مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال فجاءه قوم حُفاة عُراة مُجْتَابي النِّمار أو العباء .. متقلدي السيوف عامَّتُهم من مُضر بل كُلُّهم من مُضر فَتَمَعَّر وجه رُسول الله ﷺ لما رأى بهم من الْفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذَّن وأقام فصلَّى ثم خطب فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا

السنة السيئة أمر مما نهى عنه الشرع، عمل به إنسان فاقتدى به الناس فعليه مثل أوزارهم دون أن ينقص من أوزارهم شيء.

آلنَّاسُ آتَّقُوا رَبَّكُمُ آلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَآتَّقُوا آللهَ آلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِ وَآلْأَرْحَامَ إِنَّ آللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

والآية التي في الحشر : ﴿ آتَّقُوا آللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ .

تَصَدَّقَ رَجُل مِنْ دِينَارِه مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِه مِنْ صَاعِ بُرِّه من صَاع تَمْرِه حَتَّى قَالَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَة قال فَجَاءَ رَجُل مِنْ الْأَنصَارِ بِصُرَّة كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجَزُ عَنْهَا ، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ ، قال : ثُمَّ تَتَابَع النَّاسُ حتى رأيتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَام وَثِيَاب حتَّى رأيتُ وجهَ رسول الله ﷺ يَتَهَلَّلُ كأنه مُذْهَبة

فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَام سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرها وأَجْر مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَه مِنْ غَيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أجورهِم شَيْء وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَام سُنَّة سَيِّئة كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْر مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْر أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْء » .

إن المطالع لهذا الحديث يتضح له أن السنة الحسنة أمر حث عليه الشرع فعمل به رجل واقتدى به الناس فصار له مثل أجورهم دون أن ينقص من أجورهم شيء . كذلك السنة السيئة أمر مما نهى عنه الشرع عمل به إنسان فاقتدى به الناس فعليه مثل أوزارهم دون أن ينقص من أوزارهم شيء . وفي ذلك حديث النبي ﷺ :

« لَا تُقْتَلُ نفس ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّل كِفل من دَمِهَا لأنَّه كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْل » [متفق عليه] فليس الحديث « مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلَامِ سُنَّةً حسنَةً » دليلاً على أن من البدع ما يكون حسناً بل هو دعوة أن يكون المسلم قدوة في الطاعات وألا يكون رأساً في المعاصي فنسأل الله التوفيق لاتباع صراطه المستقيم .

والله من وراء القصد

محمد صفوت نور الدين

كلمة التحرير

العلماء..

بقلم
صفوت الشوادفي

الحمد لله الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم
وصلى الله وبارك وسلم على رسوله الأكرم ، الذي علّمه ربـ
ما لم يكن يعلم .... وبعد .

فمن المعلوم الذي لا يخفى ، والمذكور الذي لا ينسى
أن العلماء هم ورثة الأنبياء ، ولم يكن ميراثهم دينار
ولا درهماً وإنما كان علماً نافعاً .

لكنّ هؤلاء العلماء ليسوا سواء ! فمنهم العلما
الربانيون الذين يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منه
على الأذى . يحيون بكتاب الله الموتى ، وييصّرون بنور الله
أهل العمى . فهم للخلق قادة وللعباد أئمة وَسَادة !

ومن العلماء علماء سوء قد فتنهم حب الدنيا والثنا
والشرف ورغبت نفوسهم في المنزلة والجاه ، وتعلقت قلوبه
بما في أيدي الناس فرضوا بالحياة الدنيا وأطمأنوا بها ، وباعو
الآخرة بالأولى ! فهانوا على الناس بعد أن كانوا قادة
وأصابهم الذل والهوان بعد أن كانوا سادة !

وقد سئل الحسن البصري رحمه الله : « ما عقوبة العا
إذا أحب الدنيا ؟ قال : موت القلب !! فإذا أحب الدنـ
طلبها بعمل الآخرة ؛ فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم
ويبقى عليه رسمه » !

وقيادة الشعوب

وإذا أحب العالم الدنيا تقرب إلى أهلها وسعى لها سعيها ، وأجهد نفسه في التقرب إلى الحكام والأمراء بدلاً من التقرب إلى الله ! قال الأعمش رحمه الله : « شر الأمراء أبعدهم من العلماء ، وشرُّ العلماء أقربهم من الأمراء » !

وأمّا العلماء العاملون فهم فى الأرض بمنزلة النجوم فى السماء ؛ بهم يهتدي الحيران في الظلماء ، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللَّهِ والرسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[1] . وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : أولو الأمر هم العلماء وفي الرواية الأخرى هم الأمراء .

قال ابن القيم رحمه الله : « والتحقيق أن الأمراء – يعني الحكام – إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم ، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء ! ! فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم . فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول ﷺ فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء !! ولما كان قيام الإسلام بطائفتى العلماء والأمراء ، وكان الناس كلهم لهم تبعاً ، كان

" إذا أحب العالم الدنيا تقرب إلى أهلها وسعى لها سعيها وأجهد نفسه فى التقرب إلى الحكام والأمراء بدلا من التقرب إلى الله. "

صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين ، وفساده بفسادهما ، كما قال عبد الله بن المبارك وغيره من السلف : صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس ، وإذا فسدا فسد الناس ، قيل من هم ؟ قال : الملوك والعلماء » ا . هـ من إعلام الموقعين .

ولأجل هذا الذي ذكرناه كان العلماء قديماً – رحمهم الله – هم قادة الشعوب وسادة الناس ، تلتف حولهم القلوب ، وتقف وراءهم الصفوف ، ويرجع الناس إليهم في النوازل ، والنوائب ، ويصدر الحكام عن رأيهم في العوائد والشدائد ! قد علتهم الهيبة والوقار بفضل اتباعهم للسنة ، والآثار .

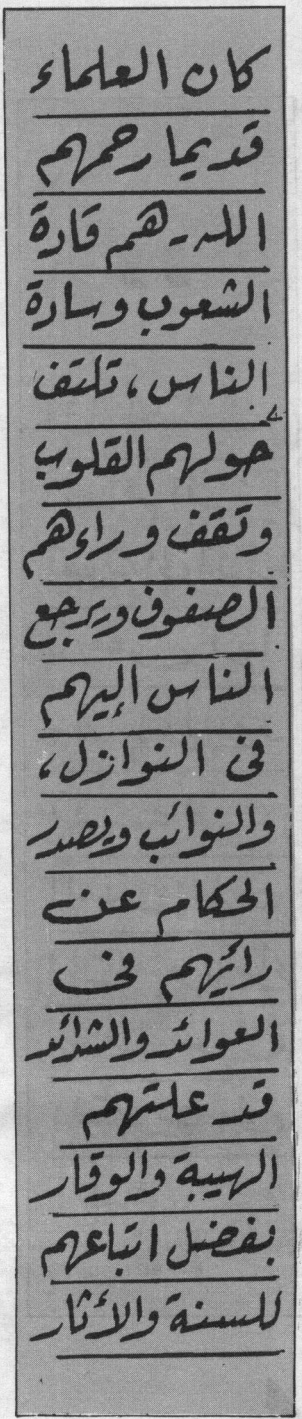

ونسوق إليك أيها القاريء الكريم موقفاً يجلّي هذه الحقيقة ، وحواراً يضيء قلوب المؤمنين ، ويوقظ النائمين والغافلين !

قال الزهري رحمه الله : قدمت على عبد الملك بن مروان فقال : من أين قدمت يازهري ؟ قلت : من مكة . قال : فمن خلفت بها يسود أهلها ؟ قلت : عطاء بن أبي رباح . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي . قال وبم سادهم ؟ قلت : بالديانة والرواية . قال : إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا . قال : فمن يسود أهل اليمن ؟ قال قلت : طاوس بن كيسان . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي . قال : وبم سادهم ؟ قلت : بما سادهم به عطاء . قال : إنه لينبغي . قال : فمن يسود أهل مصر ؟ قال قلت : يزيد بن أبي حَبيب . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي . قال : فمن يسود أهل الشام ؟ قال قلت : مكحول . قال : فمن

العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي عبد نُوبي أعتقته امرأة من هُذَيل . قال : فمن يسود أهل الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن مهران . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي . قال : فمن يسود أهل خراسان ؟ قال قلت : الضحاك بن مزاحم . قال : فمن العرب أم من الموالي قال قلت : من الموالي . قال فمن يسود أهل البصرة ؟ قال قلت : الحسن بن أبي الحسن . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي . قال : ويلك ! فمن يسود أهل الكوفة ؟ قال قلت : إبراهيم النخعي . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من العرب . قال : ويلك يازهري ! فرجت عني ، والله لتسودَن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها . قال قلت : يا أمير المؤمنين ! إنما هو أمر الله ودينه ، من حفظه ساد ومن ضيعه سقط . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

صفوت الشوادفي

صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس، قيل من هم: قال الملوك والعلماء

(١) سورة النساء آية : (٥٩) .

وأنا خاتم النبيّين

قال الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ . وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

الشيخان : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية . فجعل الناس يطوفون به . ويعجبون له . ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! فأنا اللبنة . وأنا خاتم النبيين » .

تأملات قرآنية

بقلم / السيد عبد العليم محمد حسين

فطرة الله

وجه الله رسوله ـ ﷺ ـ إلى اتباع طريق الحق الواحد الثابت الواضح ، طريق الفطرة التى فطر الناس عليها والتى لاتتبدل ولاتدور مع الهوى ، ولا يتفرق متبعوها فرقا وشيعا ، كما تفرق الذين اتبعوا الهوى

ثم يكشف عما فى طبيعة الناس من قلب لا يصلح أن تقام عليه الحياة ، مالم يرتبطوا بمعيار ثابت ، لا يدور مع الهوى ، ثم يصور حالهم فى الرحمة والضر فيقول : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتقوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِن الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِم فَرِحُونَ * فَإِذَا مَسَّ الناسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْه رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ منهم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَاءَ اتَيْنَاهُم فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ، أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِم سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا به يُشْرِكُونَ ، وَإِذَا أَذَقْنَا النَاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ .

أولا : اللغة

فأقم وجهك للدين : أخلص دينك لله ، وأقبل على الإسلام بهمة ونشاط . حنيفا : مائلاً عن كل دين باطل إلى الدين الحق وهو الإسلام .

فطرة الله : خلقته . فطر الناس عليها : خلق الناس عليها ، وهى فطرة التوحيد . لاتبديل لخلق الله : لا تغيير لدين الله . ذلك الدين القيم : المستقيم . منيبين : راجعين إليه بالتوبة . واتقوه : خافوه . فرقوا دينهم : باختلافهم فيما يعبدونه . شيعا : فرقا ـ حزب : جماعة . ضر : شدة . رحمة : رخاء وسعة ـ سلطانا : حجة وكتابا ـ سيئة : شدة ـ يقنطون : ييأسون من الرحمة .

ثانيا : التفسير :

اشتملت الآيات على المعانى الآتية :

(١) الإخلاص للدين ، والإقبال على الإسلام بهمة

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَاسَ عَلَيْهَا * لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ * ذَلِكَ

الدِّينُ القَيِّمُ ۞ وَلَكِنَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينَ حَنِيفاً ﴾ اتجه إليه مستقيما ، فهذا الدين هو العاصم من الأهواء المتفرقة التى لا تستند على حق ، إنما تتبع الشهوات والنزوات بغير ضابط ولا دليل . . . أقم وجهك للدين حنيفا مائلا عن كل ماعداه ، مستقيما على نهجه دون سواه .

﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾ وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين ، وكلاهما من الله ، وكلاهما متناسق مع الآخر فى طبيعته واتجاهه . والله الذى خلق القلب البشرى هو الذى أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه ويقومه من الانحراف . وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير . والفطرة ثابتة والدين ثابت ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾ وإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة . .

فطرة البشر وفطرة الوجود ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فيتبعون أهواءهم بغير علم ، ويضلون عن الطريق الواصل المستقيم .

والتوجيه بإقامة الوجهة للدين القيم ولو أنه موجه إلى الرسول ﷺ إلا أن المقصود به جميع المؤمنين . لذلك يستمر التوجيه لهم .

(٢) الرجوع إلى الله ، والاستقامة على طريقه

﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ ۞ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً ۞ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِم فَرِحُونَ ﴾ .

فهى الإنابة إلى الله والعودة إليه فى كل أمر ، وهى التقوى وحساسية الضمير . ومراقبة الله فى السر والعلانية ، والشعور به عند كل حركة وكل سكنة وهى إقامة الصلاة للعبادة الخالصة لله ، وهى التوحيد الخالص الذى يميز المؤمنين من المشركين . ويصف المشركين بأنهم ﴿ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً ﴾ والشرك ألوان وأنماط كثيرة : منهم من يشركون الجن ، ومنهم من يشركون الملائكة ومنهم من يشركون الكهان والأحبار والأشجار والأحجار ، والليل والنهار ، ولا تنتهى أنماط الشرك وأشكاله .

و ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ بينما الدين القيم واحد لايتعدد ولا يتبدل ولا يتفرق ولا يقود أهله إلا إلى الله الواحد ، الذى تقوم السموات والأرض بأمره ، وله من فى السموات والأرض كل له قانتون .

(٣) تقلب النفس البشرية أمام سنن الله الثابتة

﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُم بِرَبِّهِم يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُم فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِم سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِم إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ يرسم الله صورة لتقلب الأهواء البشرية

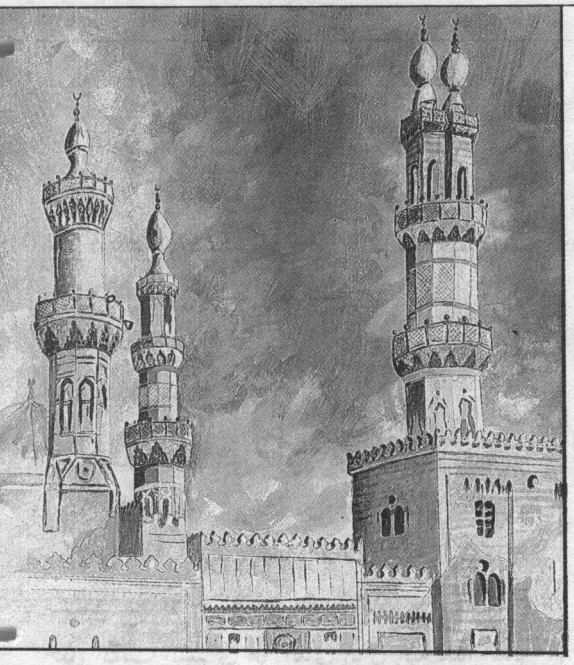

أمام ثبات السنن ، ووهن عقائد الشرك أمام قوة الدين القيم ويصور نفوس البشر فى السراء والضراء وهى تضطرب فى تقديراتها وتصوراتها ما لم تستند إلى ميزان الله الذى لا يضطرب أبداً . فعند مس الضر يذكر الناس ربهم ، ويلجأون إلى القوة التى لا عاصم إلا إياها ، ولا نجاة إلا بالإنابة إليها . حتى إذا انكشفت الغمة وانفرجت الشدة ، وأذاقهم الله رحمة منه ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُم بِرَبِّهِم يُشْرِكُون ﴾ وهو الفريق الذي لا يستند إلى عقيدة صحيحة تهديه إلى نهج مستقيم . ذلك أن الرخاء يرفع عنهم الضرر الذى ألجأهم إلى الله ، وينسيهم الشدة التى ردتهم إليه ، فيقودهم هذا إلى الكفر بما أتاهم الله من الهدى ، وما أتاهم من الرحمة بدلا من الشكر والاستقامة على الإنابة .

وهنا يعاجل الله هذا الفريق بالتهديد فى أشخاص المشركين الذين كانوا يواجهون الرسالة المحمدية فيوجه إليهم الخطاب ، ويحدد أنهم من هذا الفريق الذى يعنيه ﴿ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُون ﴾ وبعد هذه المعاجلة بالتهديد يعود فيسأل فى استنكار عن سندهم فى هذا الشرك ، وهذا الكفر الذى ينتهون إليه .

﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِم سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُون ﴾ ؟

فإنه لا ينبغى لبشر أن يتلقى شيئاً فى أمر عقيدته إلا من الله . فهل أنزلنا عليهم حجة ذات قوة وسلطان تشهد بهذا الشرك الذى يتخذونه .

ثم يعرض صفحة أخرى من صفحات النفس البشرية فى الفرح بالرحمة .. فرح الخفة والاغترار ، والقنوط من الشدة واليأس من رحمة الله ﴿ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُون ﴾ وهى كذلك سورة للنفس التى لا ترتبط بخط ثابت تقيس إليه أمرها فى جميع الأحوال ، وميزان دقيق لا يضطرب مع التقلبات .

والناس هنا مقصود بهم أولئك الذين لا يرتبطون بذلك الخط ، ولا يزنون بهذا الميزان . فهم يفرحون بالرحمة فرح البطر الذين ينسيهم مصدرها وحكمتها فيبطرون بها ، ويستغرقون فيها ، ولا يشكرون المنعم ، ولا يستيقظون إلى مافى النعمة من امتحان وابتلاء . حتى إذا شاءت إرادة الله أن تأخذهم بعملهم فتذيقهم حالة « سيئة »

عموا كذلك عن حكمة الله فى الابتلاء بالشدة ، وفقدوا كل رجاء فى أن يكشف الله عنهم الغمة ، ويئسوا من فرجه ، وقنطوا من رحمته . وذلك شأن القلوب المنقطعة عن الله ، التى لا تدرك سنة ، ولا تعرف حكمة .

ثالثا : من بلاغة الآيات :

١ ــ المقابلة بين قوله تعالى ﴿ وإذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِم إِذَا هُمْ يَقْنَطُون ﴾

٢ ــ المجاز المرسل ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾ أطلق الجزء وأراد الكل . أى توجه إلى الله بقلبك .

٣ ــ جناس الاشتقاق ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ ﴾

٤ ــ الاستفهام الإنكارى التهكمى الذى يكشف عن تهافت عقيدة الشرك التى لا تستند إلى حجة فى قوله تعالى ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُون ﴾ .

رابعا : التوجيه والإرشاد :

١ ــ التمسك بالدين الإسلامى لأنه الفطرة السليمة المستقيمة ، التى فطر الله الناس عليها .

٢ ــ الدعوة للرجوع إلى الله ، وإخلاص العبادة له ، ونبذ التفرق فى الدين .

٣ ــ التعرف إلى الله فى الرخاء والشدة .

٤ ــ عدم اليأس من رحمة الله .

وفد بني حنيفة ومسيلمة الكذاب

البخاري : عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قدم مُسَيْلِمَة الكذاب على عهد النبي ﷺ . فجعل يقول : إن جعل لي محمدٌ الأمر من بعده تبعته . وقدمها في بَشَرٍ كثير من قومه . فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس – رضي الله عنه – وفي يد الرسول قطعة جريد . حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال : « لو سألتني هذه القِطْعَة ما أعْطَيْتُكها . ولن تعدُوَ أمر الله فيك . ولئن أدبرت ليعْقِرنَّك الله . وإني لأراك الذي أُريتُ فيه ما رأيت . وهذا ثابت بن قيس يُجيبُك عنّي. ثم انصرف عنه. قال ابن عباس: فسألتُ عن قول رسول الله ﷺ: « إنك الذي أُريتُ فيه ما أُريت ». فأخبرني أبو هريرة – رضي الله عنه –: أن رسول الله ﷺ قال : « بينما أنا نائمٌ رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمَّني شأنهما . فأوحي إليَّ في المنام . أن انفخهما فنفختُهما فطارا . فأوَّلتهما كذابين يخرجان بعدي ؛ أحدهما : العنسى . والآخر : مسيلمة » .

الجهاد في سبيل الله..

بقلم
الرئيس العام
محمد صفوت نور الدين

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ : أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين ، قلت : ثم أي ؟ قال : جهاد في سبيل الله .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ....

فالجهاد : هو بذل الجهد واستنفاد الطاقة في سبيل حصول مقصود ولما كان الخلق والشرع من الله سبحانه كما قال سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ كانت مشروعية الجهاد في الإسلام حتى يعمل الخلق بأمر الله سبحانه ، ولما كان صراع الشيطان منذ خلق آدم مستمر مع آدم وبنيه بالإغراء والإغواء شرع الجهاد لقطع سبل الشيطان على الخلق وجمعهم على شرع الله ودينه فالجهاد مطلوب في كل حين للشيطان ولما يترتب على وساوسه وحيله المتصلة والمؤمن مطالب بجهاد الشيطان والنفس والكافرين والمنافقين والبغاة والفاسقين وأصحاب البدع .

أقسام الجهاد ومراتبه :

للجهاد أقسام ذكرها ابن القيم في زاد المعاد نذكرها هنا بتصرف :

المرتبة الأولى : مجاهدة الشيطان بدفع ما يلقى من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان وهي من العبد استعاذة بالله واستقامة على شرعه ومن العلماء بيان العقيدة وتصحيحها .

المرتبة الثانية : مجاهدة الشهوات : وهي بالصبر على التزام الحلال واجتناب الحرام واليقين في وعد الله للمؤمنين الطائعين ووعيده للعصاة المذنبين .

المرتبة الثالثة : جهاد النفس في طلب العلم وتحمل مشاقه فالعلم بالتعلم ومن لم يصبر على ذل التعلم صغيراً عاش ذل الجهل طويلاً .

المرتبة الرابعة : جهاد النفس في مداومة العمل بذلك العلم حتى لا تقع في الغضب أو الضلال ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

المرتبة الخامسة : جهاد الدعوة إلى الله وتعليم الخلق : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

المرتبة السادسة : الصبر على مشاق الدعوة إلى الله والبقاء مع القائمين عليها في كل حين ومكان ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

المرتبة السابعة : جهاد الكفار والمنافقين

بالقلب بغضاً لحالهم مع اعتزال الجوارح لهم .

المرتبة الثامنة : جهاد الكفار والمنافقين باللسان دعوة إلى الله وبياناً لسبيله وإزالة للحجج وقطعاً للشكوك وهذه المرتبة تسبق القتال للكافرين ولكنها تستمر مع المنافقين .

المرتبة التاسعة : الجهاد بالمال وهو بذله في مصارفه من صور الجهاد .

المرتبة العاشرة : الجهاد بالنفس وهي حصيلة الإيمان وبرهان اليقين وهو المسمى بالجهاد إذا أطلقت الكلمة ولم تقيد وهذه المرتبة ألزم مراتب جهاد الكافرين خاصة .

أما البطال وأصحاب البدع وأهل الفسق والفجور فجهادهم له ثلاث مراتب :

الأولى : باليد حال القدرة بغير وقوع مضرة أكبر .

الثانية : باللسان حال العجز عن اليد .

الثالثة : بالقلب وذلك أضعف الإيمان .

يقول ابن القيم بعد عرض هذه المراتب – فهذه ثلاث عشرة مرتبة من الجهاد – « ومن مات ولم يغز ولم يحدّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » .

والجهاد أعلى مراتب الإسلام لقوله ﷺ « رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله » .

وحكم الجهاد أنه فرض (بالنفس والمال) أو أحدهما وهو على الكفاية إذا قام به من المسلمين من يكفيهم ويتعين في ثلاثة مواضع :

الأول : إذا التقى الزحف وحضرت المعركة لقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ ﴾ .

الثاني : إذا دعا إمام المسلمين للنفير العام .

الثالث : إذا هاجم الكفار المسلمين في ديارهم .

قال تعالى ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سميت المجاهدة سبيلاً إلى الله تعالى لأن من يسلكها ويتوصل بها إلى الله ليتمكن من إظهار عبادته تعالى ونشر الدعوة إلى دينه وتوحيده والدفاع عن الحق وأهله ، فالقتال دفاع في سبيل الله لإزالة الضرر العام وهو منع الحق وتأييد الشرك وذلك بردع الذين يفتنون الناس عن دينهم وينكثون بعهدهم . وليس الجهاد طلباً لحظ النفس ولا لأهواء البدن وشهواته ولا لحب سفك الدماء وإزهاق الأرواح ولا لأجل الطمع والكسب والمال .

لذا فإن النبي ﷺ سُئل : الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله . (متفق عليه) .

والجهاد في سبيل الله له ضوابط شرعية دقيقة فهو إنما يكون في أهل القتال ولقد بين القرطبي ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ .

القتال لا يكون في النساء ولا في الصبيان ومن أشبههم ، كالرُهبان والزَمْنَى والشيوخ والأُجَراء فلا يُقتلون . وبهذا أوصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان حين أرسله إلى الشام ، إلا أن يكون لهؤلاء إذاية ، أخرجه مالك وغيره .

وللعلماء فيهم صُوَر ست :

الأولى : النساء إن قاتلن قُتِلْن ، قال سُحْنون : في حالة المقاتلة وبعدها ، لعموم قوله : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ ، ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ [البقرة : ١٩١] . وللمرأة آثار عظيمة في القتال ، منها

الإمداد بالأموال ، ومنها التحريض على القتال ، وقد يخرجن ناشرات شعورهن نادبات مثيرات معيِّرات بالفرار ، وذلك يبيح قتلهن ؛ غير أنهن إذا حصلن في الأسر فالاسترقاق أنفع لسرعة إسلامهن ورجوعهن عن أديانهن ، وتعذّر فرارهن إلى أوطانهن بخلاف الرجال .

الثانية : الصبيان فلا يُقتلون للنّهي الثابت عن قتل الذرّية ، ولأنه لا تكليف عليهم ، فإن قاتل الصبيُّ قُتل .

الثالثة : الرُّهبان لا يُقتلون ولا يُسترقّون ، بل يُترك لهم ما يعيشون به من أموالهم ، وهذا إذا انفردوا عن أهل الكفر ، لقول أبي بكر ليزيد : « وستجد أقواماً زعموا أنهم حَبَسوا أنفسهم لله ، فذرهم وما زعموا أنهم حَبَسُوا أنفسهم له » فإن كانوا مع الكفار في الكنائس قُتلوا . ولو ترّهبت المرأة فروى أشهب أنها لا تُهاج . وقال سُحْنون : لا يغيّر الترهُّب حكمها . قال القاضي أبو بكر بن العربي : « والصحيح عندي رواية أشهب ، لأنها داخلةٌ تحت قوله : « فذرهم وما حَبَسُوا أنفسهم له » .

الرابعة : الزَّمنى . قال سُحْنون : يُقتلون . وقال ابن حبيب : لا يُقتلون . والصحيح أن تُعتبر أحوالهم ؛ فإن كانت فيهم إذاية قُتلوا ، وإلا تُركوا وما هم بسبيله من الزّمانة وصاروا مالا على حالهم وحشوة .

الخامسة : الشيوخ . قال مالك في كتاب محمد : لا يُقتلون . والذي عليه جمهور الفقهاء : إن كان شيخاً كبيراً هرِمًا لا يُطيق القتال ، ولا يُنتفع به في رأي ولا مدافعة فإنه لا يُقتل ، وبه قال مالك وأبو حنيفة . وللشافعي قولان : أحدهما : مثل قول الجماعة . والثاني : يُقتل هو والراهب . والصحيح الأوّل لقول أبي بكر ليزيد ، ولا مخالف له فثبت أنه إجماع . وأيضاً فإنه ممن لا يُقاتل ولا يعين العدوّ فلا يجوز قتله كالمرأة ، وأمّا إن كان ممن تخشى مضرّته بالحرب أو الرأي أو المال فهذا إذا أُسر يكون الإمام فيه مخيّراً بين خمسة أشياء : القتل أو المنّ أو الفداء أو الاسترقاق أو عقْد الذمة على أداء الجزية .

السادسة : الُسفَهاء ، وهم الأُجراء والفلّاحون ، فقال مالك في كتاب محمد : لا يُقتلون . وقال الشافعي : يُقتل الفلاحون والأجراء والشيوخ الكبار إلا أن يُسلموا أو يؤدّوا الجزْية . والأوّل أصحّ ، لقوله عليه السلام في حديث رَبّاح بن الربيع « الحقْ بخالد بن الوليد فلا يقتلنّ ذرّية ولا عَسيفاً » وقال عمر بن الخطاب : اتقوا الله في الذرّية والفلّاحين الّذين لا يَنْصُبون لكم الحرب . وكان عمر بن عبد العزيز لا يَقتل حرّاثاً ، ذكره ابن المنذر . ا.هـ .

ولقد ذكر رب العزة الجهاد في كتابه الكريم ودعا إليه ورغب فيه بما يحرك النفس المؤمنة فتتحمل مشاقه وتقوم بأعبائه من ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

وقد حث النبي ﷺ على الجهاد والأحاديث غير منحصرة في ذلك منها حديث أبي هريرة في الصحيحين : قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : لا تستطيعونه . فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول لا تستطيعونه ثم قال مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا قيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله » .

وفي رواية البخاري « أن رجلاً قال يا رسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد ؟ قال لا أجده ثم قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر

وتصوم ولا تفطر فقال ومن يستطيع ذلك ؟ .

وعن سلمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه . وإن مات فيه جرى على عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » .

وعن فضالة بن عبيد رضي رضي الله عنه أن : رسول الله ﷺ قال : « كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر » .

ولمن أراد المزيد من الحديث في الجهاد فعليه بكتاب رياض الصالحين باب الجهاد في سبيل الله ، والمسلم المجاهد في سبيل الله ينتصر على عدوه بنصر الله تعالى وهو مطالب بجمع العدة وحشد العدد إلا أنها ليست هي سبب النصر فالله سبحانه يقول : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ ﴾ .

يقول القرطبي في تفسيره : الآية تحريض على القتال واستشعار للصبر واقتداء بمن صدق ربه قلت : (القائل القرطبي) هكذا يجب علينا أن نفعل ، لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة منعت من ذلك حتى ينكسر العدد الكبير منا قُدام اليسير من العدو كما شاهدناه غير مرة ، وذلك بما كسبت أيدينا .

وفي البخاري : وقال أبو الدرداء . إنما تقاتلون بأعمالكم . وفي المسند ، أن النبي ﷺ قال : « هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم » . فالأعمال فاسدة والضعفاء مهملون والصبر قليل والاعتماد ضعيف والتقوى زائلة . قال الله تعالى : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ وقال : ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ وقال : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ وقال ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فهذه أسباب النصر وشروطه وهي معدومة عندنا غير موجودة فينا فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحل بنا . بل لم يبق من الإسلام إلا ذكره ، ولا من الدين إلا رسمه لظهور الفساد ولكثرة الطغيان وقلة الرشاد حتى استولى العدو شرقاً وغرباً وبحراً وعمت الفتن وعظمت المحن ولا عاصم إلا من رحم . (انتهى من تفسير القرطبي) فتأمل كأن الشيخ رحمه الله يكتب لنا ويترجم عن حالنا .

فالجهاد في سبيل الله هو الدين وتركه ترك للدين والرجوع إليه رجوع للدين فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » .

ونحن كلامنا على الجهاد آماني . ومن أغراهم الشيطان حرفوا معنى الجهاد إلى قتال الفتنة ونشطوا فيها كأنها عندهم هي دين الله حتى صار الأمر بالجهاد عندهم سفك دماء المسلمين وإدخال الرعب في قلوب الآمنين .

فكلمة الجهاد واقعة بين أماني المترفين وسفه الجاهلين وقال القرطبي : شأن الأمم المتنعمة المائلة إلى الدعة تتمنى الحرب أوقات الأنفة فإذا حضرت الحرب كعت وانقادت لطبعها . وعن هذا المعنى نهى النبي ﷺ بقوله : « لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا » . انتهى .

(وللحديث بقية إن شاء الله)

وكتبه : محمد صفوت نور الدين

بقلم الشيخ العلامة
محمد حامد الفقى

بدعة

الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى من سورة الحج ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

قد جاء فى حب النبى ﷺ من النصوص مالايحتاج إلى إيضاح ورأس ذلك ما روى البخاري ومسلم أن النبى ﷺ قال « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » وفى الحديث الآخر « حتى أكون أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه » والحب لرسول الله ﷺ بهذا لايكون فرضاً فحسب بل هو أحد أصلى الإيمان فإن مبنى الإيمان وأساسه : على حب الله وحب رسوله ، فلن يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما .

والحب حُبان : حب وهمىٌّ خيالى وحب يقينىٌّ حقيقى أو حب كاذب وحب صادق فالحب الوهمى الخيالىّ الكاذب هو حب الجاهلين الذين حرموا العلم بمعرفة محبوبهم على حقيقته وصفاته التى تميزه عن غيره . والحب اليقينى الصادق هو حب العارفين الذين أوتوا العلم بمعرفة محبوبهم وصفاته وخصائصه التي تميزه عن غيره تميزاً لا يقع معه وهم ولا اشتباه .

ولطالما كان الحب الوهمى الخيالى هذا باباً من أوسع أبواب الشيطان التى أدخل منها فى القلوب الزيغ والإلحاد والوثنية والشرك فانقلب المقلدون الجاهلون من حيث لا يشعرون ألد أعداء من يدعون حبه وأشد الناس بغضاً له ولصفاته وخصائصه التي ميزه الله بها عن غيره .

والمثل قائم ملموس فى النصارى الذين يقسمون جهد أيمانهم أنهم أشدُّ الناس حباً للمسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وكلمته التى ألقاها إلى مريم وروح منه وكل عاقل لايمترى فى أنهم — بعقيدتهم الخاطئة فى المسيح — أبغض الناس له وأشدهم له كراهية ولصفاته التى ميزه الله بها ، ذلك بأنهم جهلوا عيسى عليه السلام وجهلوا حقيقته وما اختص به فكانوا من الضالين .

كان لليهود في إفساد دين عيسى بن مريم وإزاغة النصارى عنه أكبر الأثر .. لأنهم أشد الناس بغضاً لله ولرسله .

وما جرهم الشيطان إلى الغلو فى عيسى وأمه إلا بزمام هذا الحب الوهمى الخيالى الكاذب ومازال يقذف فى قلوبهم من الأوهام والخيالات الكاذبة حتى قالوا : إنه ابن الله وأنه الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وأشركوهم معه فى العبادة والتشريع ، وما زال بهم الغلو حتى زعموا أنه النور المنبثق من ربهم وأنه لذلك أول خلق الله وما زال ينتقل بالكلمة حتى حل لاهوته فى ناسوت ابن مريم كما زعمت صوفية الهند والصين فى بوذا وبرهما وصوفية قدماء اليونان والمصريين فى معبوداتهم ومقدّسيهم كما قال الله تعالى ﴿ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ سبحان الله وتعالى عما يشركون .

ولا يشك عاقل فى أن مسيحهم الذى يدعون له هذا الحب الوهمى الكاذب إنما هو شخص خيالى وهمى أيضاً لا حقيقة له فى الوجود أصلاً[1] صورته فى قلوبهم المظلمة يد الشيطان عدو الله وعدو عيسى والنبيين وعدو الإنسان المبين فإنه يستحيل أن يكون للمسيح الموصوف بالنور الأول وبالبنوة لله وبصفات اللاهوتية المزعومة وجود ولا حقيقة خارج هذه العقول السخيفة . أما عيسى الحقيقى عبد الله ورسوله الذى جعل الله ولادته آية على عظيم قدرته سبحانه ومعجزة لإبطال ما ادعوه فى ذلك العصر من التبحر فى الطب حتى فتنوا وفتنوا الناس بذلك .

هذا النبى الذى هو عيسى بن مريم والذى نحله النصارى صفات الألوهية لجهم الكاذب إياه لو أنه عاد إلى الدنيا لقاتلهم قبل أن يقاتل اليهود الذين رموا أمه البتول المطهرة بالمنكر والزور . وإنك لتراهم مع ذلك قد أكثروا من الأعياد والذكريات لحوادث مسيحهم الخيالى وأمه ولكل شأن من شئون هذا المسيح وأمه وللرهبان والقسيسين المنتسبين إليه والزاعمين أنهم أكثر الناس حباً له .

فلا يكاد ينتهى شهر إلا وفيه عيد أو أكثر ، يفعلون فى تلك الأعياد أقصى مايستطيعون ويبذلون عليها الأموال ويطعمون الطعام ويوقدون السرج والشموع ابتهاجاً بتلك الأعياد ، وقد جعلوا لكل عيد من هذه الأعياد طقوساً خاصة يرتلون فيها التراتيل ويترنمون فيها بالصلوات والمزامير ويجتمعون لها فى الكنائس وهى عندهم أهم عناصر دينهم وأقدس قرباتهم ، ويعتبرون مايقارفونه فى هذا السبيل من فعل أوقول أجلى مظاهر حبهم للمسيح وأقوى سبب لمرضاته وأقرب طريق إلى الجنة التى هى فى زعمهم وقف عليهم دون الناس أجمعين ! !

ولقد كان لليهود فى إفساد دين عيسى بن مريم وإزاغة النصارى عنه أكبر الأثر لأنهم أشد الناس بغضاً لله ولرسله ولكل قائم بالقسط بين الناس ولكنهم مع هذا قد تأثروا بما دسه سلفهم فى عقيدة النصارى فشرع لهم أحبارهم أعياداً على غرار أعياد النصارى لما تجره هذه الأعياد من منافع مادية على القسس والرهبان ، فابتدع أحبار اليهود لعامتهم مثل هذه الأعياد واستغلوها لجر المنافع المالية والرياسات الدنيوية .

وقد كان لمشركى العرب وعبدة الكواكب والمجوس والهنود وغيرهم فى الجاهلية أعياد ومواسم لآلهتهم كانت هى القدوة الأولى التى ضاهأ اليهود والنصارى أصحابها ، كما أخذوا بنوة عزير والمسيح لله عن البوذيين

والبراهمة الهنود والصينيين عن قدماء المصريين الذين كانوا يزعمون أن فرعون ابن السماء أو ابن الشمس وما إلى ذلك وما كفاهم تلك البدع الخبيثة التى نشروها وحملوا الناس عليها بمختلف الأسباب والأساليب ، بل عمدوا إلى مايردها من النصوص أو يشير إلى بطلانها — ولو من طرف خفى — فحرفوه عن موضعه أو غيّروه واستبدلوه بغيره من عند أنفسهم ﴿ فويْلٌ لِلَّذين يكْتبُون الكتاب بأيْديهمْ ثُمَّ يقُولُون هذا منْ عند الله ليشْتروا به ثمناً قليلاً فويْلٌ لَهُمْ ممَّا كتبتْ أيْديهم وويْلٌ لَهُمْ ممَّا يكْسبُون ﴾ .

ومازال الشر يتمادى بأولئك المبدلين لدين الله حتى عم الفساد الأرض وظهر فى البر والبحر بما كسبت أيديهم ولف الدنيا ظلام الجاهلية الجهلاء حتى أصبح الناس فى ليل بهيم من عمى القلوب والبصائر .

وقضت رحمة الله عز وجل أن يختار من بين هذا العالم رسولاً يصلح شأنه ويخرجه من الظلمات إلى النور فكان ذلك المصطفى المختار هو محمد بن عبد الله خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد المصلحين بعثه بالملة السمحاء التى بددت مصابيحها غياهب تلك الظلمات المتراكمة وجلت عن القلوب صداها وأعادتها إلى صفائها الفطرى فعرفت ربها وأخلصت له دينها وأسلمت له وجهها فى طاعة وانقياد وعرفت مقامه فأعطته حقه كاملا وعرفت لعبيده قدرهم فلم تعطهم أكثر من حقهم من العبودية والبشرية الضعيفة المقهورة لمن خلقها وسوّاها ، وحتى ذلك الرسول الأكرم — الذى نسبوا له من الخصائص ماتقشعر له الجلود — بشر ولد كما يولد البشر ، طعامه وشرابه ومحياه ومماته ككل إنسان ﴿ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ وأمره الله أن يقول ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ وقال عز وجل ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ الخالِدُون ﴾ وقال ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعاً مِنَ الرُّسُلِ ﴾ وقال ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُون ﴾ وقال ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُم ﴾ .

لقد قال النبى ﷺ وهو أعلم بنفسه من كل إنسان مهماأوتى من علم — « إنما أنا بشر . فلعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته فأقضى له » وقال : «إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » وقال : « لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا عبدالله ورسوله » .

لذلك كان لزاماً على كل مسلم — أن يؤمن بقول الله عن رسوله وبقول الرسول عن نفسه ويكفر بمفتريات الصوفية أعداء الله ورسوله القائلين عليهما بغيرعلم ولا هدى ولا كتاب منير : أنه أول خلق الله وأنه النور الذى منه خلق كل شىء وأنه نور عرش الله ، وأنه مكتوب على ساق العرش ، وأنه وأنه . إلى آخر تلك الأباطيل التى موَّهوا بها على الجاهلين ليصلوا منها إلى تكذيب القرآن فيما أخبر به عن بشرية الرسول التى يماثل فيها جميع البشر ، وإلى تكذيب الرسول الذى يخبر عن نفسه بما يرد افتراءات أولئك الضالين المضلين ، وإن زعموا أنهم أشد الناس حباً لله ولرسوله ، وأن هذا إنما هو السبيل إلى مرضاة الله بتعظيم رسوله هذا التعظيم الشركى الخبيث . فما مثلهم إلا كمثل النصارى مع عيسى سواء بسواء ، حذو النعل بالنعل ، وتلك هى المضاهأة التى عنى الله . فكن على بيِّنة من أمرك ، واحذر أن تكون مع أولئك الصوفية الملاعين الذين خدعوا الناس عن دينهم ونبيهم بخرافات زعموها تعظيما ،

وما كان الفضل الأعظم والرحمة العامة الشاملة . . والهداية التي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور من محمد بن عبد الله . وإنما كانت من محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم وفقه الصحابة والتابعون .. والأئمة والمهتدون إلى الانتفاع بهذه الذكرى المجيدة ، وأحلوها من نفوسهم المحل الأرفع إيماناً وهداية .. وطاعة لله .

ولو كانت كذلك ما فاتت أحداً من الصحابة ولا التابعين ولا الأئمة المهتدين ، ولقد كانوا فى حبهم لرسول الله فى درجة لايمكن أن يدعيها واحد من أولئك الصوفية لنفسه . ثم ماذا ينقص من قدر الرسول إذا كان بشراً وكان أعلى أنواع البشرية فى كل خصائصها ومزاياها ؟

فروحه أطهر الأرواح ، وعقله أكبر العقول ، ونفسه أزكى النفوس ، وفطرته أسلم الفطر ، وبالجملة فقد تركز فى شخصه كل الكمال البشرى بحيث لم يكن ولن يكون له فيه مساو ولا ضريب ولا مثيل ، وليس فى ذلك مثقال خردلة من علوّ . فقد أخبر الله أنه على خلق عظيم ، وأنه صنع موسى على عينه . فأولى سيد الأنبياء وخاتم المرسلين .

وما كان الفضل الأعظم والرحمة العامة الشاملة والهداية التى أخرجت الناس من الظلمات إلى النور من محمد بن عبد الله وإنما كانت من محمد رسول الله ، وما كانت هذه الرسالة إلا بعد تلك الولادة الروحية الثانية حين اصطفاه الله ، واختاره مرشداً وهادياً للناس على رأس الأربعين من عمره ، تلك الولادة التى كانت فى ليلة القدر من شهر رمضان . فلئن كان شىء من هاتين الولادتين جديراً بالتذكر والتذكير فهو الولادة النبوية لا الولادة البشرية ، وإنه لمن أوجب الفروض إحياء هذه الذكرى فى قلب المؤمن ، وبيته ومتجره ومصنعه ونظام معيشته ، وإدارة شئونه العامة والخاصة ، وإن من أقوى أسباب سعادة الأمة أن تحيى هذه الذكرى فى حكومتها ونظامها وإدارتها وقضائها وجميع شئونها الاقتصادية والسياسية والدولية ، ولن يكون ذلك الإحياء بالاحتفال يوماً معيناً أو ليلة واحدة من السنة ، لا ، وإنما يكون ذلك فى كل وقت ولحظة ، وفى كل عمل وشأن . تبقى هذه الذكرى النبوية ألزم للإنسان من طعامه وشرابه ، لا تبرح قلبه ولا تخرج من نفسه لتكون هى المقومة لعمله ، والهادية له فى كل شئونه ، إلى الطريق المستقيم . هذه الذكرى الروحية تتصل بالروح والأخلاق والآداب ، لا بالظواهر الفارغة من أنوار تضاء وخيام تنصب ، وطبول وزمور . فإن هذه الولادة الروحية تمقت أشد المقت هذا العبث المرذول.وذاك المجون البغيض .

ولقد وفق الصحابة والتابعون والأئمة المهتدون إلى الانتفاع بهذه الذكرى المجيدة ، وأحلوها من نفوسهم المحل الأرفع : إيماناً وهداية ، وطاعة لله ولرسوله ، وأخلاقاً فاضلة ، وشدة على الكفار ، وتراحماً بينهم ، وركوعاً وسجوداً ، وأمرابالمعروف ، ونهيا عن المنكر ، وعدلا وإنصافاً وصدقاً وبراً . فكانوا بهذه الذكرى خير أمة أخرجت للناس ، وأعرضوا كل الإعراض عن ذكرى الولادة البشرية . فلم يحتفلوا بها ولم يقيموا لها وزناً ، لأنهم يعلمون أنه فى شهر ربيع الأول كانت الولادة الروحية فلم تنقطع ، ولم تقبر ، ولن تقبر حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، ولا يزال فضلها يعم أهل الأرض ، وهو من الجدة والقوة والجمال كأول شأنه فى حياة رسول الله ﷺ .

وإنك ترى الصحابة والسلف الصالح لشدة حرصهم على ذكرى الولادة الروحية بذلوا أقصى ما يستطيعون في حفظ أحاديث رسول الله ﷺ ودراسة أخلاقه النبوية وينشروها فى الناس ، وتحملوا في سبيل نشرها فى نواحى العالم أشق الجهود وأبعد الأسفار ، حتى ملأوا الأرض بالهدى النبوى ، وسرت رحمة الله فى مشارق

الأرض ومغاربها ، بفضل أولئك الذين كانوا يقدرون نور الهداية النبوية ، ولا يتشدقون ببياض وجه صاحبها ، ولا بتورُّد خديه !

فما أسمج تلك القصص التى يسمونها « موالد » وما أبعدها عن دين الله وما أعظم شرها فى تذكير الناس برسول الله ، وما أقبحها فى تنفير الناس من محمد رسول الله الهادى إلى سواء السبيل ، وتحبيبهم فى محمد الجميل أحمر الخدود ، أسود العيون إلخ مايهرفون . ألا ساء مايصفون ! ومن الأدلة على قبح هذه الأعياد أن الله تعالى حمى من غشيانها رسوله محمداً حتى طفولته كما تحدثنا كُتب السِّيَر الصادقة ، وصرفه عنها ، وبغَّضه فيها . فلم يحضر مع عشيرته مولداً ولا احتفل بعيد ، فلما بعث قام فى حربها أشد قيام ، وجاهد الدعاة إليها من سدنة الموتى أكبر جهاد ، وما زال حتى طهّر الأرض منها ، ونكَّس أعلامها ، وقشع عن القلوب ظلماتها .

ولما يعلمه رسول الله من طبائع الأمم ، وتحولها عن دين الحق ، كما رأى من اليهود والنصارى وغيرهم . فقد حذر أمته أشد التحذير من تلك الفتنة ، وخوَّفها أشد التخويف من دسائس أعدائها ، ودلها على مالو اتبعته لن تضل بعده :كتاب الله وسنته ، وثبتت عنه الأحاديث الكثيرة فى هذا المعنى منها : « وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوابها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإيا كم ومحدثات الأمور . فإن كل بدعة ضلالة » وقال فى التحذير من تلك الأعمال الجاهلية والأعيادالشركية نصاً صريحاً لايقبل التأويل ولا يصرفه عن مراده إلا مُشاقٍّ لله ولرسوله ومتبع غير سبيل المؤمنين « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، قالت عائشة : يحذر ماصنعوا ، ولولا ذلك لأبرز قبره » وقال « لا تتخذوا قبرى عيداً » وقال : « لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد ، والموقدين عليها السرج » .

ولكن أين الآذان الصاغية ، والقلوب الواعية . بل أين الإسلام الحق ممن زعموا أنهم مسلمون ! !

(*) تلخيص لمقال واف لرئيس التحرير فى بدعة الموالد وأصل منشئها سبق أن طبع فى رسالة مستقلة ، ننشره فى عدد ربيع الأول بمناسبة ما اعتاد المسلمون عمله فى هذا الشهر من بدع منكرة باسم ذكرى مولد الرسول ، والرسول أول من يبرأ من هذا العمل وفاعليه .

(١)حتى ذهب بعض المتطرفين من علماء الافرنج إلى عد المسيح أسطورة تاريخية! وما حملهم على ذلك إلا هذا الإطار الخرافى الذى أحيط به عليه السلام .

تطهير الكعبة من الأصنام

البخاري : عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : دخل النبيُّ ﷺ مكة يوم الفتح . وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُبٍ فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : ﴿ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[الإسراء : ٨١] ﴿ جَاءَ ٱلْحَقُّ وما يُبْدِئُ ٱلْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ : ٤٩] .

البخاري : عن ابن عباس – رضي الله عنهما – : أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة . فأمر بها فأخرجت . فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – في أيديهما مِنَ الأزلام . فقال ﷺ : « قاتلهم الله . لقد علموا ما استقسما بها قط » ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت وخرج ولم يصل فيه .

د . علي السالوس
أستاذ الاقتصاد الإسلامي

شهادات الاستثمار عقد قرض أيضاً

إذا تأملنا شهادات الاستثمار ، وبحثنا عن جوهرها وطبيعتها ، وجدناها لا تخرج عن عقد القرض ، فهي نقود لا تصلح للإجارة ، وليست وديعة تحفظ لدى البنك كأمانة ، وإنما يستخدم هذه النقود في استثماراته الخاصة بعد أن تملكها وضمن رد المثل وزيادة وهذا القرض الإنتاجي الربوي الذي كان شائعاً في الجاهلية ، سواء أكانت الزيادة الربوية تقسم على أقساط شهرية كما رأينا من قبل ، أم تدفع بعد المدة المتفق عليها .

وإذا نظرنا إلى القروض في الجاهلية التي حرَّمها الإسلام ، وجدنا استبعاد القرض الاستهلاكي ، ذلك أن العربي قل أن يحتاج إلى قرض استهلاكي .

فالعرب في الصحراء « كان غذاؤهم فيها بسيطاً ، فقليل من الشعير يكفيهم ، وإذا أضيف التمر واللبن فذلك غذاء رافه ، وكان لباسهم بسيطاً كغذائهم ، وهو ليس أكثر من ثوب طويل يضمه في وسطه منطقة ، وقد تلفه عباءة ، وغطاء للرأس يمسكه عقال » . « ولم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم وقد بعثتها فيهم حياة الصحراء القاسية ، وما فيها من إجداب وإمحال ، فكان الغني بينهم يعطف على الفقير ، وكثيراً ما كان يذبح إبله في سنين القحط ، يطعمها عشيرته ، كما يذبحها قرير العين لضيفانه الذين ينزلون به أو تدفعهم الصحراء إليه . ومن سننهم أنهم كانوا يوقدون النار ليلاً على الكثبان والجبال ، ليهتدي إليهم التائهون والضالون في الفيافي ، فإذا وفدوا عليهم أمنوهم حتى لو كانوا من عدوهم » . .

(انظر كتاب : العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ص ٦٨ ، ص ٧٨) .

أما مكة في الجاهلية فكانت مدينة تجارية عظيمة ، وأهلها اعتادوا القيام برحلتين تجاريتين : إحداهما إلى اليمن شتاء ، والأخرى إلى الشام

صيفاً ، وقد امتن الله - عز وجل - عليهم بهذا في سورة قريش كما هو معلوم .

وعقد عبد شمس معاهدة تجارية مع النجاشي ، كما عقد نوفل والمطلب حلفاً مع فارس ومعاهدة تجارية مع الحميريين في اليمن . وكذلك ازدادت مكة منعة جاه كما ازدادت يسارا ، وبلغ أهلها من المهارة في التجارة أن أصبحوا لا يدانيهم فيها مدان من أهل عصرهم . كانت القوافل تجيء إليها من كل صوب ، وتصدر عنها في رحلتي الشتاء والصيف ، وكانت الأسواق تنصب فيما حولها لتصريف هذه التجارة فيها ، ولذلك مهر أهلها في النسيئة والربا ، وفي كل ما يتصل بالتجارة من أسباب المعاملات » (حياة محمد ، للدكتور : محمد حسين هيكل ص ٩٧) .

من هنا نرى أن مثل هذا المجتمع العربي تندر فيه القروض الاستهلاكية ، وتكثر فيه القروض الإنتاجية للتجارة .

القرض الإنتاجي الربوي وشركة المضاربة

إلى جانب القرض الإنتاجي الربوي الذي شاع واستشرى في الجاهلية ، وجد أيضاً تعامل آخر للاستثمار وهو شركة المضاربة ، أو مايسمى بالقراض أيضاً ، وذكر أن الرسول ﷺ وهو في شبابه وقبل زواجه من السيدة خديجة رضي الله عنها ، تعامل بهذه الشركة عندما تاجر في مالها .

وعندما جاء الإسلام ، وحرم الربا ، دخل القرض الإنتاجي الربوي في دائرة الحرام ، وبقيت المضاربة حلالاً ، فتعامل بها الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع غيرها من طرق الاستثمار المشروعة ، وأقرهم الرسول ﷺ .

والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه الذي تعامل بالربا ، وكان رباه أول ربا وضعه الرسول ﷺ ، تعامل أيضاً بالمضاربة ، وكان يشترط على المضارب شروطاً إذا خالفها فهو ضامن ، ويذكر أن الرسول ﷺ ، رفع إليه شرط العباس فأجازه .

(انظر المطالب العالية ١ / ٤١٩ ، والخبر سكت عليه البوصيري ، ولكن في سنده مقال) .

ومن المعلوم أن المضارب ليس بضامن إلا إذا خالف شروط العقد ، أو فعل ما ليس من حقه أن يفعله ، أوقصر أو فرط .

ومن الذين تحدثوا عن الودائع ، وعن شهادات الاستثمار ، وجدنا من يشير إلى شركة المضاربة ، ومن يعتبر هذه المعاملات عقوداً مستحدثة لها بالمضاربة شبه ، ولكنها تختلف عنها بما لا يخالف كتاباً ولا سنة ، لهذا أحب أن نميز بين القرض الإنتاجي الربوي وشركة المضاربة ، وأن ننظر إلى الثبات والتطور في هذين العقدين ، قبل النظر في القول المذكور آنفاً .

الفرق بين القرض والمضاربة

القرض يحدد له فائدة ربوية تبعاً للمبلغ المقترض ، والزمن الذي يستغرقه القرض ، كأن يكون ١٠ ٪ من رأس المال سنوياً ، بغض النظر عما ينتج عن هذا القرض من كسب كثير أو قليل أو خسارة .

أما المضاربة ، فالربح الفعلي يقسم بين صاحب رأس المال والمضارب بنسبة متفق عليها والخسارة من رأس المال وحده ولا يأخذ العامل شيئاً في حالة الخسارة ، ولا في حالة عدم وجود ربح .

والعلاقة بين صاحب القرض وآخذه ليست من باب الشركة ، فصاحب القرض له مبلغ معين محدد ولا شأن له بعمل من أخذ القرض ، ومن أخذ القرض يستثمره لنفسه فقط ، حيث يملك المال ويضمن رد مثله مع الزيادة الربوية ، فإن كسب كثيراً فلنفسه ، وإن خسر تحمل وحده الخسارة .

أما المضاربة فهي شركة ، فيها الغنم والغرم للاثنين معاً ، فالمضارب لا يملك المال الذي بيده وإنما يتصرف فيه كوكيل عن صاحب رأس المال ، والكسب مهما قل أو كثر يقسم بينهما بالنسبة المتفق عليها ، وعند الخسارة يتحمل صاحب رأس المال الخسارة المالية ، ويتحمل العامل ضياع جهده وعمله ، ولا ضمان على المضارب كما ذكرنا .

الثابت والمتطور في القرض والمضاربة

الإسلام لا يبيح إلا القرض الحسن ، سواء أكان القرض استهلاكياً أم إنتاجياً ، وكل مال يدفع في مقابل الزمن الذي يستغرقه القرض فهو من ربا النسيئة .

وإذا اتخذ القرض أشكالاً مختلفة ، وصوراً متعددة ، واستحدث منه ما استحدث ، فإنا ننظر في جوهره ومضمونه ، ونلحقه بأصله ، فإما أن يكون قرضاً حسناً ، وإما أن يكون قرضاً ربوياً .

وفي بداية البحث أشرت إلى الرواتب التي تدفعها البنوك الربوية لمن يودع لديها مبلغاً من النقود ، ورأينا أن هذا الشكل في مضمونه يعود إلى ربا الجاهلية ، بل إلى ما قبل الجاهلية .

ونضرب هنا مثلاً آخر من أعمال البنوك وهو ما يعرف بالاعتماد المستندي ، فالبنك يأخذ عمولة كأجر له على أعماله التي يقوم بها لصالح عميله الذي يستفيد من فتح هذا الاعتماد ، فالأجر هنا حلال لأنه في مقابل منفعة مشروعة . غير أن البنك عند فحص المستندات ودفع الثمن لمصدر السلع ، قد لا تكفي الأموال التي أخذها من العميل ثمناً لهذه السلع ، وعند ذلك يقوم البنك بدفع المبلغ قرض حسن . أما إذا كان البنك ربوياً فإنه يعتبر هذا المبلغ ديناً على العميل بفائدة محددة ، أي أن هذا يعتبر قرضاً ربوياً .

والبنوك الربوية كما تقرض قروضاً تأخذ الشكل العادي المعروف ، فإنها تعطي قروضاً في أشكال مستحدثة مثل ما يسمى بفتح الاعتماد (غير المستندي) ، وخصم الأوراق التجارية ، والسحب على المكشوف .. إلخ .

فكل هذه المعاملات في جوهرها قروض ربوية ، والمضاربة في الأصل كانت صورة بدائية لا تكاد تزيد عن شركة بين اثنين : صاحب رأس المال والمضارب . وكانت تستخدم في التجارة في أشياء محدودة . ورأس المال كان من الدنانير الذهبية والدراهم الفضية .

غير أنها في جوهرها شركة ، وليست علاقة دائن بمدين ، ولها شرطان مجمع عليهما وهما ما أشرت إليهما في الربح والضمان . فإذا شرط أحدهما أو كلاهما لنفسه مبلغاً محدداً من المال بطلت المضاربة .

أسئلة القراء عن الأحاديث *

بقلم العلامة الشيخ
محمد ناصر الدين الألباني

« خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ، ولا دنياه لآخرته ، ولم يكن كلاً على الناس » .

موضوع

أخرجه أبو بكر الأزدي في « حديثه » (٥ / ١) وأبو محمد الضراب في « ذم الرياء » (٢٩٣ / ١) والخطيب في « تاريخ بغداد » (٤ / ٢٢١) عن نعيم بن سالم بن قنبر عن أنس بن مالك مرفوعاً .

وهذا إسناد موضوع ، نعيم بن سالم أورده هكذا في « اللسان » وقال :

« قال ابن القطان : « لا يعرف » قلت : تصحف عليه اسمه وإلا فهو معروف مشهور بالضعف متروك الحديث ، وأول اسمه ياء مثناة من تحت ، ثم غين ثم نون ، وسيأتي » .

ثم قال هناك في « يَغْنم بن سالم » :

« وقال أبو حاتم : ضعيف ، وقال ابن حبان : كان يضع على أنس وقال ابن يونس : حدث عن أنس فكذب » .

ومن طريقه رواه الديلمي أيضاً ، كما في « الحاوي » (٢ / ٢٠٢) للسيوطي و « فيض القدير » للمناوي .

وقد روى الحديث بإسناد آخر موضوع عن أنس.

(كفى بالموت واعظاً ، وكفى باليقين غنى ، وكفى بالعبادة شغلاً) .

ضعيف جداً

رواه أبو سعيد بن الأعرابي في « معجمه » (٩٧ / ١) وابن بشران في « مجلس يوم الجمعة ١٧ ذي الحجة سنة ٤١٢ من الأمالي » (ورقة ٢٠٨ / ٢ من مجموع الظاهرية رقم ٨٧) وأبو الفتح الأزدي في « المواعظ » (٧ / ١) والقضاعي (١١٤ / ١) والقاسم بن عساكر في « تعزية المسلم » (٢ / ٢١٦ / ٢) وكذا أبو نعيم « في حديث الكديمي » (٣٥ / ٢)

* التخريج من الضعيفة .

من طريق الربيع بن بدر عن يونس بن عبيد عن الحسن عن عمار مرفوعاً .

قلت : وهذا إسناد ضعيف جداً الربيع بن بدر متروك .

ثم إنه روى موقوفاً ، فقد أخرجه أحمد في « الزهد » (١٧٦) وابن أبي الدنيا في « كتاب اليقين » (رقم ٣١) بسند صحيح عن جعفر بن سليمان عن يونس قال : حدثني من سمع عمار بن ياسر يقول : فذكره موقوفاً غير مرفوع . وكذلك رواه نعيم بن حماد في « زوائد زهد ابن المبارك » (رقم ١٤٨) عن ابن مسعود موقوفاً وهو الصواب إن شاء الله .

(قال الله تبارك وتعالى : من لم يرضَ بقضائي ، ويصبر على بلائي ، فليلتمس رباً سوائي) . ضعيف جداً

رواه ابن حبان في « المجروحين » (١ / ٣٢٤) والطبراني في « الكبير » وأبو بكر الكلاباذي في « مفتاح المعاني » (٣٧٦ / ١) والخطيب في « التلخيص » (٣٩ / ٢) وابن عساكر (٧ / ١١٥ / ١ . ١٢ / ٢٦٧ / ١ . ١٥ / ٣٠٤ / ١) من طريق سعيد بن زياد بالإسناد المذكور في الحديث الذي قبله .

وقال الهيثمي في « المجمع » (٧ / ٢٠٧) :

« وفيه سعيد بن زيادة بن هند وهو متروك » .

وقال العراقي (٣ / ٢٩٦) :

« وإسناده ضعيف » .

وهذا قصور أو تساهل أو لعل في نسخنا من « تخريج الإحياء » سقط ، فقد نقل المناوي عنه أنه قال :

« ضعيف جداً » وهذا أقرب .

(إنما يفعل هذا (يعني تقبيل اليد) الأعاجم بملوكها . وأنا لست بملك . إنما أنا رجل منكم) . موضوع

وهو قطعة من حديث سبق الكلام على إسناده فراجع الحديث (٨٩) .

وقد صح عنه ﷺ تقبيل بعض الناس يده ﷺ . ولم ينكر ذلك عليهم . فدل على جواز تقبيل يد العالم . وقد فعل ذلك السلف مع أفاضلهم . وفيه عدة آثار تراها في كتاب « القبل والمعانقة » لأبي سعيد بن الأعرابي تلميذ أبي داود وفي « الأدب المفرد » للبخاري (ص ١٤٢) .

لكن ليس معنى ذلك أن يتخذ العلماء تقبيل الناس لأيديهم عادة ، فلا يلقاهم أحد إلا قبل يدهم - كما يفعل هذا بعضهم - فإن ذلك خلاف هديه ﷺ قطعاً ، لأنه لم يفعل ذلك معه إلا القليل من الصحابة الذين لا يعرفون هديه ﷺ وما هو أحب إليه كالمصافحة . ولذلك لم يرد أن المقربين منه

العارفين به مثل أبي بكر وغيره من العشرة المبشرين بالجنة كانوا يقبلون يده الشريفة ، وهذا خلاف ما عليه بعض المشايخ ، ولو لم يكن في عادتهم هذه إلا تقبيح السنة القولية والعملية التي حض عليها رسول الله ﷺ ألا وهي المصافحة لكفى ، ومن العجيب أن بعضهم يغضب أشد الغضب إذا لم تقبل يده ، وما هو إلا شيء جائز فقط ، ولا يغضب مطلقاً إذا تركت المصافحة مع أنها مستحبة وفيها أجر كبير ، وما ذلك إلا من آثار حب النفس واتباع الهوى ، نسأل الله الحماية والسلامة .

(من اعتكف عشراً في رمضان كان كحجتين وعُمرتين) .
موضوع .

رواه البيهقي في « الشعب » من حديث الحسين بن علي مرفوعاً وقال : « إسناده ضعيف ومحمد بن زاذان أي أحد رجاله متروك ، وقال البخاري : لا يكتب حديثه ا.هـ

كلامه وفيه أيضاً عنبسة بن عبد الرحمن ، قال البخاري : تركوه ، وقال الذهبي في « الضعفاء » : متروك متهم أي بالوضع » ، كذا في « فيض القدير » .

قلت : وعنبسة هذا هو الذي قال فيه أبو حاتم :

« كان يضع الحديث » كما في « الميزان » للذهبي ، ثم ساق له أحاديث هذا أحدها ، ومن طريقه أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١ / ٢٩٢ / ١) وأبو طاهر الأنباري في « المشيخة » (ق ١٦٢ / ١ - ٢) بلفظ : « اعتكاف عشر .... » ، وقال ابن حبان (٢ / ١٦٨) : « صاحب أشياء موضوعة وما لا أصل له » .

(إن هاتين صامتا عما أحل الله ، وأفطرتا على ما حرم الله عز وجل عليهما ، جلست إحداهما إلى الأخرى ، فجعلتا تأكلان لحوم الناس) . ضعيف

رواه أحمد (٥ / ٤٣١) عن رجل عن عبيد مولى رسول الله ﷺ :

« أن امرأتين صامتا ، وأن رجلاً قال : يا رسول الله : إن ها هنا امرأتين قد صامتا وإنهما كادتا تموتا من العطش ، فأعرض عنه أو سكت ، ثم عاد ، وأراه قال بالهاجرة - قال : يا نبيَّ الله إنهما والله قد ماتتا أو كادتا تموتا ، قال ادعهما ، قال : فجاءتا ، قال : فجيء بقدح أو عس ، فقال لإحداهما : قيئي ، فقاءت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط وغيره حتى ملأت القدح ، ثم قال : فذكره .

وهذا سند ضعيف بسبب الرجل الذي لم

يسمَّ ، وقال الحافظ العراقي (١ / ٢١١) إنه مجهول ورواه الطيالسي (١ / ١٨٨) عن أنس فقال : حدثنا الربيع عن يزيد عنه .

قلت وهذا سند ضعيف جداً ، الربيع هو ابن صبيح ضعيف ويزيد هو ابن أبان الرقاش وهو متروك .

(يخرج قوم هلكى لا يفلحون قائدهم امرأة ، قائدهم فى الجنة) . منكر .

رواه أبو سعيد بن الأعرابى فى « المعجم » (٧٧ / ١) نا الصاغاني : نا أبو نعيم : نا عبد الجبار بن العباس عن عطاء بن السائب عن عمر بن الهجنَّع عن أبى بكرة قال : « قيل له : ما منعك ألا تكون قاتلت عن صبرتك يوم الجمل ؟ فقال » فذكره مرفوعاً . ورواه أبو منصور بن عساكر فى « الأربعين فى مناقب أمهات المؤمنين » (٢٨ / ٢ الحديث ١٢) من طريق الصغانى . وأورده العقيلى فى « الضعفاء » (٢٨٩) وقال :

حدثنا محمد بن عبيدة قال : ثنا أبو نعيم به وقال :

« عمر بن الهجنَّع لا يتابع عليه ، ولا يعرف إلاَّ به وعبد الجبار بن العباس من الشيعة » .

قلت : وهذا صدوق ، وأما عمربن الهجنع ، فقال الذهبى تبعاً للعقيلى : « لا يعرف » .

وأما ابن حبان فذكره فى « الثقات » (١ / ١٤٥) على قاعدته فى توثيق المجهولين ، فلا يغتر به كما نبهنا عليه مراراً .

وعطاء بن السائب كان اختلط ، فالحديث ضعيف منكر ، وقد أورده ابن الجوزى فى « الموضوعات » (٢ / ١٠) من طريق العقيلى ، وأعله بعبد الجبار هذا ، فلم يصنع شيئاً ! ولذلك رد عليه السيوطى فى « اللآلى » (١٠٩١) ثم ابن عراق فى « تنزيه الشريعة » (١٩٥ / ١) بأن العقيلى أورده فى ترجمة ابن الهجنع ، فقال فيه ماسبق :

« متروك الحديث » .

قلت : لأنه كان كذاباً ، فسقط حديثه .

(خذوا من القرآن ماشئتم لما شئتم لأصل له فيما أعلم) وقال السيد رشيد رضا فى « المنار » (مجلد ٢٨ / ٦٦٠) : « لم أره فى شىء من كتب الحديث » .

(ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين ، فإن الميت يتأذى بجار السوء ، كما يتأذى الحى بجار السوء) . موضوع .

رواه القاضى أبو عبد الله الفلاكى فى « الفوائد » (٩١ / ١) وأبو نعيم فى « الحلية » (٦ / ٣٥٤) من طريق سليمان بن عيسى : ثنا مالك بن أنس عن عمه أبى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعاً . وقال أبو نعيم : غريب من حديث مالك لم نكتبه إلا من هذا الوجه

إعداد
لجنة الفتوى
بالمركز العام

رئيس اللجنة
محمد صفوت نور الدين

أعضاء اللجنة
صفوت الشوادفي
د / جمال المراكبي

سؤال نسمع كثيرا من بعض أهل الفضل هذا الدعاء « اللهم اجعلنا اجمع بيننا - في مستقر رحمتك » فما المقصود بمستقر رحمة الله تعالى لأننا سمعنا البعض ينهى عن مثل هذا الدعاء . ويزعم أن مستقر الرحمة هو رب العالمين سبحانه وتعالى .

الجواب مراد الداعي بهذا الدعاء « اللهم اجمع بيننا في مستقر رحمتك » الجنة .

والمعنى « اللهم اجمع بيننا في جنة الخلد » حيث رحمتك ، ولا شك أن الجنة هي محل الرحمة ، كما أن النار هي محل العذاب والشقاء ، ولهذا فإن دخول الجنة يكون برحمة الله تعالى ، وفي الصحيح « لن يُدخل أحداً عمَلُهُ الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة » .

وفي الصحيحين أن الله تعالى قال للجنة : « أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي » .

ولكن ورد عن بعض السلف كراهية مثل هذا الدعاء فقد روى البخاري في الأدب المفرد بإسناد صحيح عن أبي الحارث الكرماني قال : سمعت رجلاً قال لأبي رجاء العطاردي : أقرأ عليك السلام ، وأسأل الله أن يجمع بيني وبينك في مستقر رحمته .

قال أبو رجاء : وهل يستطيع أحد ذلك ؟ فما مستقر رحمته ؟ قال الرجل : الجنة .

قال : لم تصب .

قال الرجل : فما مستقر رحمته ؟ .

قال أبو رجاء : رب العالمين .

وأبو رجاء ثقة مخضرم ، أسلم في حياة النبي ﷺ وهو عالم عامل نبيل ، مقرىء ، معمر .

فرحمة الله صفة من صفاته ، والجنة خلق من خلق الله فلا يمكن أن تكون مستقر رحمته تعالى ، وإن كان استقرار

المؤمنين فيها رحمته تعالى .

وهذا من أبي رجاء العطاردي على سبيل الاحتراز عن المشتبهات خاصة فيما يتعلق بصفات الله عز وجل .

والتحقيق أن الرحمة المضافة إلى الله تعالى نوعان[1] :

الأول : مضاف إضافة صفة إلى موصوف ، كما في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وفي دعاء النبي ﷺ : « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، فأصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين » .

والثاني : في مضاف من إضافة المفعول إلى فاعله ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ ﴾ [هود : ٩] .

﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الروم : ٥٠] .

وفي الحديث : « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة » .

« أنت رحمتي أرحم بك من أشاء » .

ولكن مستقر الرحمة هو رب العالمين سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم ، الذي وسع كل شيء رحمةً وعلماً ، ووسعت رحمته كل شيء .

ولهذا فالراجح اجتناب هذه اللفظة في الدعاء ، كما قال أبو رجاء رحمة الله تعالى علينا وعليه .

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ص ١٠ ، ص٤٤٧ .

سؤال

بعض الآيات تبين أن عاقبة بعض المسمين الخلود فى النار ، مثل قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ خَفَّتْ موازينه فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ فهل يكون الخلود لبعض المسلمين مثل الكافرين ؟ .

الجواب

لم ترد فى القرآن الكريم آية صريحة تدل على خلود مسلم أو مؤمن في النار أبداً ! .

وينبغى على من أراد أن يفهم آيات الوعيد فى القرآن أن يجمعها فى صعيد واحد ، فيفسر الآية المجملة بالآية المفصلة ، وذلك مثل قول الله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾ ومعلوم أن الشرك ذنب ، وأنه لا يغفر إلا بالتوبة منه وتحقيق الإيمان ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ . وكذلك حقوق العباد التى لا تسقط إلا بردها واسترضاء أصحابها لاتدخل فى عموم قول الله تعالى ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ لأن هذا

الذى سلف إذا كان فيه مظالم فإن الشريعة تأمرهم برد المظالم إلى أهلها .

فينبغى لمن أراد أن يفهم أمثال هذه الآيات أن يجمعها ، وأن يفرق بين المجمل والمفصل ، أو المطلق والمقيد ، أو العام والخاص كما يقول أهل العلم ، وألا يفهم الآية استقلالاً حتى لا تفهم على وجه غير صحيح .

أما الآيات التى تتحدث عن خفة الميزان فى القرآن فهى تتحدث عن مطلق الميزان الخفيف ، فالكافر لو وزنت أعماله فلن تجد فى ميزانه شيء ينتفع به ، فعلى هذا يكون ميزانه خفيفاً خفة مطلقة .

والمؤمن إذا وزنت أعماله ، توضع حسناته فى كفه وسيئاته فى كفة أخرى ، فيترجح أحدهما على الآخر ، *ولو رجحت كفة السيئات فإنه* لا يخلدفى النار . لأن الله تعالى يقول أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة .

فهذا الذى ذكره السائل غير صحيح ، فلا يوجد فى القرآن نص يتحدث عن خلود المسلمين فى النار ، وهذا من المجمع عليه عند أهل العلم .

س يسأل

أعمل مع تاجر ، أجلب له الزبائن فقط نظير عمولة فماالحكم فى هذا العمل ؟ .

الجواب

إن كنت مندوب مشتريات فى إحدى الجهات الحكومية ، أو نحوها فلا يجوز لك أن تتقاضى من التاجر عمولة عما تشتريه الجهة التى تعمل لديها .

وإن كنت تعمل عملاً حراً ، ويدخل ضمن نشاطك أن تجلب الزبائن للتاجر فهذا جائز بشروطه الشرعية ، ومن شروطه ألا تغش أو تدلس على أحد من الطرفين فلا تمدح السلعة بما ليس فيها عند من يشتريها ، ولا تخدع بائعاً ولا مشتريًا .

والله الموفق

فضل إنظار المعسر

مسلم عدة روايات : عن حذيفة وابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال : « تلقّت الملائكة رُوح رجل ممن كان قبلكم . فقالوا : أعملت من الخير شيئًا ؟ قال : لا . قالوا : تذكر . قال : كنتُ أدين الناس فآمر فتياني أن يُنْظِروا المعسر . ويتجوزوا عن الموسر . قال : قال الله عز وجل تجوزوا عنه » وفي رواية قال الله تعالى : « نحن أحق بذلك منك . تجاوزوا عنه » .

القرار التاسع

الصادر عن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي

لرابطة العالم الإسلامي

في دورته العاشرة المنعقدة في عام ١٤٠٨هـ بشأن موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب والتعصب المذهبي من بعض أتباعها.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧ م إلى يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧ م قد نظر في موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب المتبعة، وفي التعصب الممقوت من بعض أتباع المذاهب لمذهبهم تعصباً يخرج عن حدود الاعتدال، ويصل بأصحابه إلى الطعن في المذاهب الأخرى وعلمائها، واستعرض المجلس المشكلات التي تقع في عقول الناشئة العصرية وتصوراتهم حول اختلاف المذاهب الذي لا يعرفون مبناه ومعناه، فيوحي إليهم المضللون بأنه مادام الشرع الإسلامي واحداً وأصوله من القرآن العظيم والسنة النبوية الثابتة متحدة أيضاً فلماذا اختلاف المذاهب، ولم لا توحد حتى يصبح المسلمون أمام مذهب واحد وفهم واحد لأحكام الشريعة، كما استعرض المجلس أيضاً أمر العصبية المذهبية والمشكلات التي تنشأ عنها، ولا سيما بين أتباع بعض الاتجاهات الحديثة اليوم في

● ● الاختلاف الاعتقادي هو في الواقع مصيبة جرت إلى كوارث في البلاد الإسلامية.. وشقت صفوف المسلمين.. وفرقت كلمتهم وهي مما يؤسف له، ويجب أن لا يكون.. وأن تجتمع الأمة على مذهب أهل السنة والجماعة الذي يمثل الفكر الإسلامي السليم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

عصرنا هذا حيث يدعو أصحابها إلى خط اجتهادي جديد ويطعنون في المذاهب القائمة التي تلقتها الأمة بالقبول من أقدم العصور الإسلامية ويطعنون في أئمتها أو بعضهم ضلالاً ويوقعون الفتنة بين الناس.

وبعد المداولة في هذا الموضوع ووقائعه وملابساته ونتائجه في التضليل والفتنة قرر المجمع الفقهي توجيه البيان التالي إلى كلا الفريقين المضللين والمتعصبين تنبيهاً وتبصيراً:

أولا: حول اختلاف المذاهب

إن اختلاف المذاهب الفكرية القائم في البلاد الإسلامية نوعان:

(أ) اختلاف في المذاهب الاعتقادية.

(ب) واختلاف في المذاهب الفقهية.

فأما الأول، وهو الاختلاف الاعتقادي، فهو في الواقع مصيبة جرت إلى كوارث في البلاد الإسلامية، وشقت صفوف المسلمين، وفرقت كلمتهم، وهي مما يؤسف له، ويجب أن لا يكون، وأن تجتمع الأمة على مذهب أهل السنة والجماعة الذي يمثل الفكر الإسلامي السليم في عهد رسول الله ﷺ وعهد الخلافة الراشدة التي أعلن الرسول أنها امتداد لسنته بقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ».

وأما الثاني، وهو اختلاف المذاهب الفقهية في بعض المسائل فله أسباب علمية اقتضته ولله سبحانه في ذلك حكمة بالغة ومنها الرحمة بعباده وتوسيع مجال استنباط الأحكام من النصوص، ثم هي بعد ذلك نعمة وثروة فقهية تشريعية تجعل الأمة الإسلامية في سعة من أمر دينها وشريعتها، فلا تنحصر في تطبيق شرعي واحد حصراً لا مناص لها منه إلى غيره، بل إذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء وفي وقت ما، أو في أمر ما، وجدت في المذهب الآخر سعة ورفقاً ويسراً، سواء أكان ذلك في شئون العبادة أم في المعاملات وشؤون الأسرة والقضاء والجنايات على ضوء الأدلة الشرعية.

● ● واختلاف المذاهب الفقهية ليس نقيصة ولا تناقضاً في ديننا، ولا يمكن أن لا يكون. فلا يوجد أمة فيها نظام تشريعي كامل بفقهه واجتهاده ليس فيها هذا الاختلاف الفقهي.

فهذا النوع الثاني من اختلاف المذاهب، وهو الاختلاف الفقهي، ليس نقيصة ولا تناقضاً في ديننا ولا يمكن أن لا يكون، فلا يوجد أمة فيها نظام تشريعي كامل بفقهه واجتهاده ليس فيها هذا الاختلاف الفقهي.

فالواقع أن هذا الاختلاف لا يمكن أن لا يكون لأن النصوص الأصلية كثيراً ما تحتمل أكثر من معنى واحد، كما أن النص لا يمكن أن يستوعب جميع الوقائع المحتملة لأن النصوص محدودة والوقائع غير محدودة كما قال جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى، فلابد من اللجوء إلى القياس والنظر إلى علل الأحكام وغرض الشارع والمقاصد العامة للشريعة، وتحكيمها في الواقع والنوازل المستجدة وفي هذا تختلف فهوم العلماء وترجيحاتهم بين الاحتمالات، فتختلف أحكامهم في الموضوع الواحد وكل منهم يقصد الحق ويبحث عنه. فمن أصاب له أجران ومن أخطأ فله أجر واحد ومن هنا تنشأ السعة ويزول الحرج.

فأين النقيصة في وجود هذا الاختلاف المذهبي الذي أوضحنا ما فيه من الخير والرحمة، وأنه في الواقع نعمة ورحمة من الله بعباده المؤمنين، وهو في الوقت ذاته ثروة تشريعية عظمى ومزية جديرة بأن تتباهي بها الأمة الإسلامية ولكن المضللين من الأجانب الذين يستغلون ضعف الثقافة الإسلامية لدى بعض الشباب المسلم ولا سيما الذين يدرسون لديهم في الخارج فيصورون لهم اختلاف المذاهب الفقهية هذا كما لو كان اختلافا اعتقاديا ليوحوا إليهم ظلما وزورا بأنه يدل على تناقض الشريعة دون أن ينتبهوا إلى الفرق بين النوعين وشتان ما بينهما.

ثانيا: وأما تلك الفئة الأخرى التي تدعو إلى نبذ المذاهب وتريد أن تحمل الناس على خط اجتهادي جديد لها وتطعن في المذاهب الفقهية القائمة وفي أئمتها أو بعضهم: ففي بياننا الآنف عن المذاهب الفقهية ومزايا وجودها وأئمتها ما يوجب عليهم أن يكفوا عن هذا الأسلوب البغيض الذي ينتهجونه ويضللون به الناس ويشقون صفوفهم، ويفرقون كلمتهم في وقت نحن أحوج ما نكون إلى جمع الكلمة في مواجهة التحديات الخطيرة من أعداء الإسلام، بدلاً من هذه الدعوة المفرقة التي لا حاجة إليها.

فضيلة الشيخ
محمد جميل زينو
المدرس بدار الحديث الخيرية

يُحِبُّ الْجَمالَ ، اَلْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ) « رواه مسلم » .
[بَطَرُ الْحَقِّ : رَدُّ الحق . غَمْطُ النَّاسِ : اَحتِقارُهم] .

٤ ــ الْاعْتِرَافُ بِالْخَطَإِ :

إذا أخطأت فاعترف بخطئك ، واعتذر منه ، فإن الاعتراف بالخطأ خير من التمادى فى الباطل ، فرسول الله ﷺ يقول :

« كُلُّ بَنى آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » رواه الترمذى وحسنه محقق جامع الأصول .

التَّوَّابُون : هم الذين يعترفون بأخطائهم ، ويرجعون عنها ، ويتوبون إلى الله هذا هو الخليفة عمر ابن الخطاب يعترف بخطئه عندما واجهته امرأة فقال : « أَخْطَأَ عُمَر ، وأَصَابَت امْرَأة » ذكرها ابن كثير فى تفسيره .

٥ ــ الْعَدْلُ وَقَوْلُ الْحَقِّ :

كن عادلًا ولوبين أعدائك ، ولا تحملك العداوة لقوم على ظلمهم ، فالله تعالى يقول : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [سورة المائدة : ٨] .

قل الحق ولو على نفسك ، أو أقاربك ، أو أصدقائك ، فقد أمر الله تعالى بذلك فقال : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ والْأَقْرَبِينَ إِنَّ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا ، فَلَا تَتَّبِعُوا الهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ، وَإِنْ تَلْوُوا أو تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيرا ﴾ [سورة النساء : ١٣٥] .

٦ - الْاسْتِسْلَامُ لِأَوَامِرِ الدِّين :

استسلم لأحكام الدين وأوامره ، فإن الإسلام مشتق من الاستسلام ، ولا تَقِسْ أحكام الدين برأيك وعقلك ، فإن العقل له حد ينتهى إليه ، وكثيراً ما يخطىء العقل ، ويعجز عن تفسير جميع أمور الدين ، لذلك قال على رضى الله عنه : « لَوْ كانَ الدِّين بِالرَّأى لَكَان الْمَسْحُ عَلَى أَسْفَلِ الْخُفِّ أَوْلَى مِنَ الْمَسْحِ عَلَى أَعْلَاه » إن المسلم الحقيقى هو الذى ينفذ أوامر الشرع دون معرفة

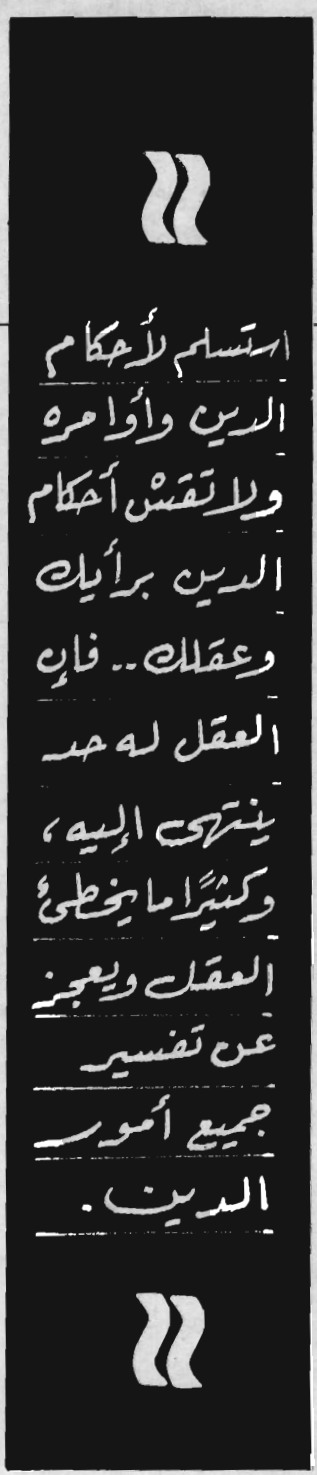

السبب الذى خفى فهو كالجندى يطيع أمر قائده دون مناقشة ، لأنه يعلم أن قائده أعلم منه ، وعندما حرّم الإسلام لحم الخنزير امتثل المسلمون للأمر ، ولم يسألوا عن السبب وبعد مضى أربعة عشر قرناً كشف الطب الحديث عن ضرره ، وعرفنا أن الله لم يحرم شيئاً إلا لضرره .

٧ ــ العَدْلُ فِي الْوَصِيَّة :

لاتحْرِمْ أحداً من الورثة حقّه ، بل ارض بما فرض الله وقسّم كما أمر ، ولا تتأثر بالهوى والحب والميل لأحد الورثة ، فتخصه بشيء دون الباقين : عن النعمان بن بشير قال : « تَصَدَّقَ عليَّ أبي بِبَعْضِ مالِه ، فَقالتْ أُمّي [عمرة بنت رواحة] : لا أرْضى حتى تُشْهِدَ رَسُولَ الله ﷺ ، فانْطَلَق أبي إلَى النبيّ ﷺ لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتي ، فقال لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أفَعَلْتَ هذا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ ؟ قال : لا ، قال : اتقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أوْلادِكُمْ » . (متفق عليه) .

وفى رواية : « قالَ النبيُّ ﷺ : فلا تُشْهِدْني إذَنْ ، فإنّي لا أشْهَدُ على جَوْر » (أخرجه مسلم والنسائى) .

وكم أخطأ أشخاص كتبوا أموالهم لبعض ورثتهم ، فثار الحقد والبغض والحسد بين الورثة ، وذهبوا للمحاكم ، وأضاعوا أموالهم للمحامين بسبب هذا الخطأ .

٨ ــ حُقُوقُ الْجَارِ :

احذر أذى الجار قولا أو فعلاً ، فقد حذر الرسول ﷺ من أذاه فقال : « وَاللهِ لا يُؤْمِنُ ، وَاللهِ لا يُؤْمِنُ ، وَاللهِ لا يُؤْمِنُ : الَّذِى لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » رواه البخارى .

وقال ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ ، فلا يُؤْذِ جَارَه » رواه البخارى .

لا ترم الأوساخ في طريق الناس ، ولا سيما أمام جيرانك كقشر الموز ، أو البطيخ وغيرها التى تؤذى المارة وأعرف رجلا كسرت رجلُه بسبب قشرة الموز ، وبقى ستة أشهر فى الفراش .

حاول أن تُزيل الأذى عن طريق الناس ولاسيما الجيران لأن الرسول ﷺ يقول : « وتُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » متفق عليه .

وإذا أصيب جارك بمصيبة فراع شعوره ، وواسه فى مصيبته ، وساعده لتخفيف حزنه ، ولا ترفع صوت المذياع عالياً ، ولا تسمح لأهلك وضيوفك برفع أصواتهم تأميناً لراحة الجيران ، ولاسيما إذا كان منهم المريض ، والمتعب الذى يحتاج كل منهم إلى النوم والراحة .

٩ ــ الوَفَاءُ بِالْوَعْدِ :

إذا وعدت إنساناً ولو طفلاً فأوف بوعدك فى وقته المحدد ، ويتم البيع والشراء بمجرد الاتفاق والوعد ، ولاحاجة للعربون ، وهو دفع شيء من المال ضماناً للوفاء بالبيع ، فالمؤمن إذا قال صدق ، وإذا وعد وَفَى ، وكل من أخلف وعده ، فقد اتصف بصفة من صفات المنافقين . لقول الرسول ﷺ : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ : إذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذَا وَعَدَ أخْلَفَ ، وَإذَا اؤْتُمِنَ خَانَ » متفق عليه .

١٠ ــ آدَابُ عِيادَةِ الْمَرِيضِ :

لقد رغّب الإسلام فى عيادة المريض ، ولا سيما إذا كان المريض قريباً أوجاراً فعن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قال : يَارَبِّ كَيْفَ أعُودُكَ وَأنْتَ رَبُّ الْعَالَمِين ؟ قالَ : أمَا عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِى فُلاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْه أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَه » رواه مسلم .

● ومِنْ آداب عِيادة الْمريض :

أ ــ أن تكون الزيارة قصيرة ، حتى لا تُزعج المريض ، فربما كان فى حاجة إلى راحة أو نوم أو قضاء حاجة إلا إذا كان يأنس بك .

ب ــ أن لاتكثر الكلام عنده ، وأن لا تطلب منه قصة مرضه .

ج ــ أن تدخل إلى قلب المريض الفرح والسرور ، وتزيد فى أمله بالشفاء وأنه فى تَقَدُّم .

د ــ أن تقول للمريض : لابأسَ عليك ، طَهُور ، وأن تدعو له بالشفاء ، فقد قال رسول ﷺ « مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَحْضُرْ أَجَلَه ، فَقَالَ عِنْدَه سَبْعَ مَرَّاتٍ :

أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ ، إِلَّا عَافَاهُ اللهُ » صححه الحاكم ووافقه الذهبى .

١١ ــ آدَابُ النَّظَرِ :

إذا رأيت امرأة سافرة ، فَغُضَّ بصرك عنها ، فإن العين تزنى ، وزنا العين النظر إلى مَا حرَّم الله ، ! وهذا رسول الله ﷺ يقول : « يَا عَلِيُّ لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنْ الْأُولَى لَكَ ، وَلَيسَتْ لَكَ الثَّانِيَةَ » (رواه أحمد وغيره وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع) .

واعلم أن هذه النظرة لن تفيدك إلا حسرة وندامة : فإذا كنت متزوجاً ونظرت إلى امرأة أجمل من زوجتك ، فإن نفسك تتغير مع زوجتك ، ويصيبك الهم والنزاع مع زوجتك وكنت قبل النظر مسرورا راضياً بزوجتك .

و إذا كنت عزباً فإن نظرك إلى المرأة الأجنبية قد يحرك فى نفسك الشهوة ، وربما ساقك الشيطان إلى ارتكاب الفاحشة ، لذلك نصح الله تعالى المؤمنين فقال :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [سورة النور : ٣٠] . وقال الرسول ﷺ : « مَا تَرَكْتُ فِتْنَةً بَعْدِى أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ » رواه مسلم .

١٢ ــ آداب النصيحة :

لقد أرشد النبى ﷺ إلى النصيحة فقال : « الدِّين النَّصِيحَةُ : قِيلَ لِمَنْ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : للهِ وَلِكِتابِهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِين وَعَامَّتِهِمْ » رواه مسلم .

ولكن النصيحة لها آداب يجب مراعاتها ، نأخذها من المربى الكبير سيدنا محمد ﷺ :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قام أعرابى فبال فى المسجد فقام إليه الناس ليقعوا به فقال ﷺ : « دعُوهُ وأريقوا على بوْله سجْلاً مِنْ مَاءٍ اوْذنوباً[1] مِنْ ماء فإنما بُعثْتُم مُيَسِّرِين ولَمْ تُبْعثوا مُعَسِّرين » رواه الجماعة إلا مسلم .

وروى مسلم عن معاوية بن الحكم السلمى قال :

« بينما أنا أُصلّى مع النبى ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم ، فقلتُ : يرْحمُكَ اللهُ ، فَرمانى القـومُ بأبْصارهِم ، فقلتُ : وَا ثُكْلَ أُماه ما شأنُكم تنظرون إلَىَّ ؟ ! فجعلوا يضْرِبُون بأيْديهم عَلى أفخاذِهم . فلمَّا رَأيْتُهُم يُصَمِّتونى سَكَتُّ ، فلمَا صلَّى رسولُ الله ﷺ – فبأبى وأمِّى مارأيت مُعلماً قبله ولا بَعْده أحْسن تعْليماً مِنْه ، فَوَالله ما كَهَرَنى ولا ضَرَبَنى ولا شَتَمَنى ــ ثم قال : « إنَ هَذِه الصَّلاَةَ لَا يَصلُحُ فِيهَا شَىء مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ ، إنمَّا هِى التَّسْبِيحُ وَالتَّكبير وقِرَاءَةُ الْقُرآنِ » .

---

(١) السَّجْل : هو الدلو إذا كان فيه ماء ــ والذَّنوب : الدلو العظيمة الممتلئة ماء .

فضل صلاة الضحى

الترمذي. وصححه : عن أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل قال : « ابن آدم اركع لي من أول النهار – أربع ركعات – أكفك آخره » .

الاستعاذة من شر النفس والشيطان

بقلم
د. / جمال المراكبي
عضو لجنة الفتوى بأنصار السنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو بكر : يا رسول الله مُرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت ؟ .

قال : قل : اللهم عالم الغيب والشهادة ، فاطر السماوات والأرض . رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت . أعوذ بك من شر نفسي . وشر الشيطان وشركه .

قال قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك[1] .

وفي رواية عن أبى مالك الأشعرى زيادة : نعوذ بك من شر أنفسنا ، ومن شر الشيطان الرجيم وشركه ، وأن نقترف سوءًا على أنفسنا أو نجره إلى مسلم[2] .

هذا الدعاء من جوامع الكلم يتحصن به العبد المسلم فى الصباح كل يوم ومسائه وعند نومه ، فيكون بفضل الله تعالى وقاية له من الشرور والآ ثام .

فاحرص أخى المسلم على هذه المنحة التى خص بها النبى ﷺ صاحبه ورفيقه أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، وأخبرنا بها أبو هريرة رضي الله عنه لنشارك الصديق فى هذا الخير الذى طلبه وحرص عليه والتزمه فى صباحه ومسائه ، ويومه وليله .

وانظر إلى الصديق يعرف فضل الدعاء والاجتهاد فيه ولكنه لايدعو ربه بدعاء من عند نفسه ، بل يطلب من النبى ﷺ أن يجتهد له وأن يعلمه ، لأنه يعلم أن اختيار النبى ﷺ له أفضل من اختياره هو لنفسه .

وفي هذا الدعاء يعلمنا النبى ﷺ أن الثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا هو الوسيلة التى تقربنا إلى الله وتفتح لنا أبواب السماء وتكون سببًا فى استجابة الدعاء ، ومن غفل عن هذا في دعائه فهو متعجل ، لا يُرجي له الإجابة ، وقد سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته ولم يحمد الله ولم يُصل على النبي ﷺ فقال : عَجِلَ هذا . ثم دعاه فقال : إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بما شاء[3] .

« اللهم عالم الغيب والشهادة » ثناء على الله بصفة العلم « اللهم » لفظة تستخدم في

● ● إذا كان الناس يظنون أنهم يشاركون في الملك في الدنيا فهذا ظن كاذب ووهم .. لأنهم وما يملكون ملك لله وهو الذي منعهم ما يملكون . .

الدعاء ، ومعناها « يا الله » وقد تكلم أهل العلم في معنى هذه الكلمة وأطالوا ، وذهب بعضهم إلى أن معناها : يا الله أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا ، وهذا الذي ارتضاه ابن القيم رحمه الله . والله سبحانه عالم الغيب والشهادة ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلونَ بَصِير ﴾ [الحديد : ٤] .

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [المجادلة : ٧] .

﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوت إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِير ﴾ [لقمان : ٣٤] .

وكل ما يعلمه الناس والجن والملائكة فمن فضل الله عليهم وهو قليل في جنب الله ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ .

وكتب في اللوح كل شيء على مقتضى علمه ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم ﴾ [البقرة : ٣٢] .

﴿ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والْأَرْض ﴾ خلقهما من العدم فهو سبحانه الذي فطر الخلق أي ابتدأ خلقهم .

قال ابن عباس : لم أكن أعلم معنى فاطر السماوات والأرض حتى اختصم أعرابيان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها يريد استحدثت حفرها .

فالله سبحانه خالق كل شيء من العدم ، فاطر السماوات والأرض ومن فيهن ، بديع السماوات والأرض ومن فيهن أبدعهما على غير مثال سابق ، وهو سبحانه الخالق البارىء المصور وهو الذي يبدأ الخلق ثم يُعيده ، وهو الخلاق العظيم خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقهما وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فتم ذلك كله في أربعة أيام ، ولو شاء الله لجعله في طرفة عين لأنه سبحانه يقول للشيء كن فيكون ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيم * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون ﴾ [يس : ٨١ - ٨٢] .

« رَبّ كُلّ شَيْءٍ وَمَلِيكِه » .

فهو سبحانه رب العالمين ، رب السماوات ورب الأرض ورب كل شيء ، رب الفلق ورب الناس مربيهم بالنعم التي لا تُعدُ ولا تحصى .

والرب هو المالك المتصرف ، ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح ، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى ولا يستعمل الرب لغير الله عز وجل إلا بالإضافة ، تقول : رب الدار[٤] .

والرب يقتضي معاني كثيرة وهي :

الملك والحفظ والتدبير والتربية ، وهي تبليغ الشيء كما له بالتدريج .

والمليك هو الملك ، ملك الناس ، مالك الملك ذو الجلال والإكرام ، الملك الحق ، المليك المقتدر .

وذلك مما يقتضيه الخلق والإبداع وهو إيجاد الشيء من العدم ، فلا يكون أحد أحق بما أبدع منه ، ولا أولى بالتصرف فيه منه ، ولا أقدر على سياسته والقيام على شئونه من الحي القيوم مالك الملك ذي الجلال والإكرام[٥] .

إذا كان الناس يظنون أنهم يشاركون في الملك في الدنيا فهذا ظن كاذب ووهم ، لأنهم وما يملكون ملك لله تعالى وهو الذي منحهم ما يملكون واستخلفهم فيه ، ولهذا فإن تصرفهم فيه ينبغي أن يكون مقيداً بما أذن فيه مالك الملك في شرعه ودينه ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ فإذا كان يوم القيامة زال الملك عن كل أحد من الخلق ولم يبق إلا الملك الجبار ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ عند ذلك يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟[٦] أنا الله ، أنا الرحمن ، أنا الملك ، أنا القدوس ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا المهيمن ، أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً ، أنا الذي أعدتها ، أين الملوك ؟ أين الجبابرة ؟[٧] .

وبعد أن يثني الداعي على الله تعالى بكل هذه المعاني ويتوسل إلى الإجابة بأسماء الله تعالى وصفاته التي تبلغ من الحسن أعلاه . ينتقل الداعي إلى نوع آخر من أنواع التوسل المشروع وهو التوسل بإيمان الداعي ، كما حكى المولى عن المؤمنين ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ .

والمعنى فبإيماننا نتوسل إليك أن تغفر لنا وفي هذا الدعاء يقول الداعي : « أشهد أن لا إله إلا أنت » .

أي أقر وأعلن بلساني عما يعتقده قلبي أنك أنت الله رب العالمين ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة الملك المتعال ، لا إله إلا أنت وهذه شهادة التوحيد المتضمنة كلمة الإخلاص التي يعصم بها المرء دمه وماله في الدنيا ، ويعصم نفسه من الخلود في النار يوم القيامة .

« ومن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة »[٨] .

وبعد أن يتوسل الداعي بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا وبأنه مؤمن موحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، يبدأ في الإعلان عن سؤاله وطلبه فيقول « أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه » فيلجأ إلى الله تعالى عائذاً به متحصناً من الشرور وقد علم أنه سبحانه هو المعاذ والملجأ والحصن الحصين وعلم أن الاستعاذة عبادة لا يجوز صرفها إلا إلى رب العالمين الملك القادر على حمايته مما يخاف ويحذر ثم يستعيذ به سبحانه من شر نفسه ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن يقترف على نفسه سوءًا أو يجره إلى مسلم .

والداعي هنا يعلم أن الشر الذى يستعيذ بالله منه هو الألم الذي يصيبُ الإنسان ، والسبب المفضى إلى هذا الألم فالمعاصي والكفر والشرك وأنواع الظلم شرور لأنها أسباب للآلام ، ولهذا فإنه يستعيذ من شرور النفس الأمارة بالسوء ، ومن شر الشيطان الرجيم الذي لا هدف له إلا تزيين الكفر والشرك لإضلال بني آدم .

ولما كان الشر له سبب هو مصدره ، وله مورد ومنتهى يصل إليه ، والسبب إما من ذات العبد وإما من الخارج ومنتهى الشر إما إلى نفسه وإما إلى غيره من الناس كان هنا أربعة أمور : شر مصدره نفسه ، ويعود على نفسه تارة وعلى غيره تارة أخرى .

وشر مصدره غيره ، ويعود على نفسه أو على غيره ، جمع النبي ﷺ هذه الأنواع في هذا الدعاء الذي علمه للصديق رضي الله تعالى عنه[٩] .

« أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم » .

(١) رواه الترمذي - ك الدعوات (٤٩) - حديث رقم ٣٣٩٢ وقال : هذا حديث حسن صحيح .
ورواه أبو داود بنحوه - ك الأدب (٣٥) - حديث رقم ٥٠٦٧ وسنده صحيح . وفيه تقدم « اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة » .

(٢) رواه أبو داود . وفي سنده مقال .

(٣) رواه أحمد والثلاثة وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ١ ص ٢٢ .

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٩ .

(٦) متفق عليه . (٨) رواه مسلم .

(٧) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٠ . (٩) ابن القيم - تفسير المعوذتين .

وصايا

الحمد لله القائل : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ١٣١] **والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد القائل :** « أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة » وتقوى الله طاعته بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وهي تثمر سعادة الدنيا والآخرة وبعد :

فهذه وصايا إسلامية قيمة في مواضيع مختلفة في العبادات والمعاملات والأخلاق والآداب وغير ذلك من شئون الحياة ، نقدمها إلى الشباب المسلم الحريص على معرفة ما ينفعه للذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين . راجين أن ينفع الله بها من قرأها أو سمعها،وأن يعظم الأجر والمثوبة لمن ألفها أو كتبها أو نشرها أو عمل بها ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وهي كالآتي :

دكتور / جمال عبد المنعم المولد

دراسات عليا للدكتوراه في الميكروبيولوجيا والمناعة

حقيقة الجهاز المناعي

انتهينا في العددين السابقين من الحديث عن إبداع الله في خلق الخلية ... وحدة بناء أعضاء الجسم وسنواصل الحديث في هذا العدد عن إعجاز الله وقدرته على حماية كل مخلوق والمتمثل فيما يسمى بالجهاز المناعي ...

وسنحاول دون إسهاب أو إطناب التجوال في أرجاء الجهاز المناعي لنتعرف سوياً على بعض من صفاته وسنحاول كشف الستار عن بعض خباياه وفك الأقنعة عن وجه بعض خلاياه بصورة مبسطة نفهمها سوياً.

جهاز المناعة يعتبر بمثابة القوات المسلحة بالنسبة للجسم وهبة الله كغيره من الأجهزة للذود عن الجسم ... هذا الجهاز يتصل بكافة وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية بالجسم ... ويخوض كل يوم الآلاف من المعارك الحربية الضارية دون أن نشعر أو قد نشعر في حالة هزيمته .. بما يسمى بالمرض .. يخوض هذا الجهاز بما منحه ربنا من وسائل وأدوات الحروب بخطط محكمة من خلال غرف عمليات واعية تشرف على سير الحروب وتنسق بين قواته حتى لا تكون الفوضى والتخبط كما يحدث في عالم البشر ... لأنه لو كانت الفوضى والتخبط والديكتاتورية .. فسوف ينتهي الأمر بتحطيم الجيش نفسه حتى يباد عن آخره أو يكاد فكل شيء يسير بحسابات دقيقة حتى لا يختلط الحابل بالنابل ويسير حسب خطط موضوعة ومدروسة لمواجهة كافة الاحتمالات المتوقعة وغير المتوقعة ...

التشكيلات العسكرية لقوات الجهاز المناعي ؟

كما هو الحال في القوات المسلحة لكل دولة يتكون الجيش من جماعة وهذه الجماعات مجتمعة تكون سرية والسرايا تكون كتيبة ومجموعة الكتائب تشكل لواء ومن هذه اللواءات تتكون الفرقة والفرق مجتمعة تكون الجيش .. كذلك نجد أن جهاز المناعة منسق في نسق بديع ونظام رائع محكم لا يعرف العشوائية أو التخبط لأنه صنع يد بديع حكيم .. نجد أنه عبارة عن مجموعة من خلايا كرات الدم البيضاء - Leucocytes - التي يتراوح عددها ما بين ٤ الآلاف إلى ١١ ألف خلية في السنتيمتر المكعب

الواحد من الدم .. هذه الخلايا تتشكل في مجموعات .. كل مجموعة لها دورها الذي لا تحيد عنه ولا تميد .. وتسير كما أُمرت من قبل بارئها جل وعلا ... وتشكل كل مجموعة سلاح خاص من أسلحة الجيش ووسائل عديدة للدفاع فمنها ما يقوم بدور المدفعية ومنها ما يقوم بدور القوات الجوية ... وكذلك تقوم مجموعات منها بدور الجاسوسية ... وتسير في الدم لترصد أي جسم غريب لتكون له بالمرصاد ... وقد تبلغ رحلتها التي تقطعها في الدم طوال فترة حياتها ما بين مائة كيلو متر إلى مليون كيلو متر ... ؟! سبحان الله العلي القدير ... ويسمى كل نوع من هذه الخلايا على حسب قابلية السيتوبلازم الموجود في الخلية للاصطباغ بصبغة معينة ... أو على حسب شكل النواة في تلك الخلية ... أو على حسب الموقع التي تسكنه في الجسم ... أو على حسب الدور التي تؤديه كما هو الحال في تشكيلات قواتنا المسلحة ... وعلى هذا الأساس نجد أن هذه الخلايا تتشكل في خمسة تشكيلات لكل تشكيل أفرع أخرى تخرج منه وهذه التشكيلات والخلايا هي النيتروفيل Neutro phil والإيزينوفيل Eosino phil والبيزوفيل Buso phil والمونوسيت Mono cyte والليفوسيت Lympho Cyte تتوزع هذه الخلايا توزيعاً استراتيجياً يضمن للجسم الأمن والسلام ... فبعضها يقوم بالدفاع عن منطقة معينة بالجسم ... ويشكل قوات خاصة تقوم بالذود عن تلك المنطقة وهذا العضو من الجسم ضد كل معتد أثيم وهي تشبه قوات الأمن المركزي الخاص بكل قرية ومدينة مع الفارق فالأولى تحافظ على خلو وطن الجسم من كل ميكروب غريب لكن الثانية تقوم بردع الخارجين عن القوانين الوضعية والذين يهددون أمن تلك المنطقة من نفس أفراد الدولة ... وهناك قوات عامة تشترك سوياً لتضرب ولتدق عنق كل من يحاول أن يعبث بالأمن العام وتضرب في نحور المعتدين ... الذين يتطاولون على جسم الكائن الحي .

أماكن توزيع القيادات في الجهاز المناعي

لا يحتل الجهاز المناعي بالجسم مكاناً واحداً بل تتوزع قياداته توزيعاً حكيماً لتشغل كل أماكن الجسم دون أن تقتصر على عضو معين ... مع العلم بأن لكل نسيج ولكل عضو من أعضاء الجسم جيش خاص به يدافع عنه إذا ما باغته ميكروب ... وهناك بعض الأعضاء بالجسم تحظى بأهمية خاصة في التصدي للأجسام الغريبة نذكر منها الغدد الليمفاوية (وهي المراكز الاستراتيجية الهامة في مراكز الدفاع والتي تعرف عند العامة بالحيل حينما تلتهب) والنخاع العظمي واللوزتين والطحال والغدة التيموسية .

خصائص الجهاز المناعي

يتميز الجهاز المناعي عن غيره من أجهزة الجسم المختلفة ببعض الخصائص أهمها التعرف على الأجسام الغريبة Recoginalion سواء كانت هذه الأجسام ميكروبات أو مواد كيماوية . او غير و كذلك يتميز بما يعرف بالتمييز Differentiation حتى يميزين أنسجة الجسم وبين تلك المواد الغريبة حتى لا يدمر الجسم الذي يحويه ... وينقلب الجسم إلى أرض للحرب الأهلية ... كذلك من أهم مميزات هذا الجهاز والتي تحفظ له البقاء وتحفظ ماء وجهه هو ما يعرف بالتذكر Memorization حيث إن هذا الجهاز يقوم بتدوين كل ما يقوم به من معارك حربية في كتب وسجلات ... ويحفر على أسطر تلك السجلات كل

ما حدث على ساحة الجسم من أعمال فدائية وسلمية على حدٍ سواء ... إن هذه الذاكرة تعتبر من أهم النعم التي وهبها الله للجهاز المناعي بل والجسم كله لأنها بمثابة سجل كامل مدون فيه كافة ما حدث.

كثيراً ما تدور على مسرح الأحداث في الجسم معارك ضارية يدافع فيها عن نفسه ضد أي غريب معتمداً في حربه على تلك الملايين من جنوده والتي يروح ضحيتها الآلاف بل الملايين ... وتحشد الحشود ... وتنتظم في جبهات صد لتزود عن مملكة الجسم ولكن ما هي الميكانيكية التي يتم الدفاع بها عن الجسم ؟ ... نقول بأن الجيش مكون من رتب مختلفة تبدأ بالجندي وتنتهي بالقائد الأعلى ... وكذلك مزود بوسائل مختلفة للدفاع عن نفسه أيضاً على هذا النمط ... وما يحدث كالآتي ... حينما يحاول ميكروب أن يخترق عرين الجسم من خلال أي مكان في الجسم كالجلد مثلاً فإنه يتعرض للعديد من وسائل الدفاع والعديد من مدفعية الجسم وحينما يتغلب هذا الميكروب على حصون الجسم ووسائل دفاعه المختلفة وحينما يحاول الوصول والدخول إلى الدم أو أي نسيج فإن نوعاً معيناً من خلايا الجسم وهو ما يعرف بالمونوسيست Monocyte يقوم هذا النوع بمهاجمة هذا الميكروب والتعامل معه بالطريقة التي تروق له وتطلق عليه العديد من أدوات التدمير البيولوجية ... هذا الوابل يعمل على تفتيت هذا الميكروب إلى قطع صغيرة ... ثم بعد تفتيته تقوم بأخذ بصماته ثم تطبعها على جدارها رافعة راية النصر على هذا المعتدي الأثيم الذي يحاول تهديد استقرار الأمن في مملكة هذه الخلية ... مملكة الجسم. ولا تكتفي تلك الخلية بهذا التدمير للميكروب ولا بالتفتيت بل تقوم بإبلاغ القيادات العليا ... حتى تقوم تلك القيادات بإصدار الأوامر واتخاذ الاحتياطات اللازمة ضد هذا المجرم ... والعدو المتسلق وما بقي من أفراده على أرض تلك المملكة فتقوم بأخذ بصماته من تلك الخلية وتقوم بعمل ما يشبه الفيش والتشبيه له حتى يسجل اسمه في سجلات الذاكرة كل ما عرف عنه من تركيب ومن أدوات مستخدمة في حربه ضد الخلية وهذا النوع الأخير يسمى بخلايا الليمفوسيت بنوعيها البائي B - Lymphocyte والتائي T - Lymphocyte وتقوم هاتان الخليتان باتخاذ القرارات وإصدار الأوامر لباقي خلايا الجسم الدفاعية ... حتى تقوم بعمل تعبئة عامة واستدعاء لجنود الاحتياط وتقوم بفتح سجلات الذاكرة حتى ترى ما إذا كان الميكروب ممن سبق لهم الهجوم على الجسم أو أن هذه هي أول محاولة له لاقتحام حصون الجسم ... ثم بعد ذلك تتم المداولات ... وتنقسم حتى يزداد عددها وتعطى في النهاية الخلايا التائية النشطة Sensitized T - Lymphocyte وتعطى خلايا البلازما Plasma cell وكذلك تتكون خلية الذاكرة لكليهما Memory cell ... وتقوم خلية البلازما بتصنيع ما لا عين رأت ... ولا أذن سمعت من الأجسام المضادة حيث تقوم بتصنيع مليون جسم مضاد للميكروب في الدقيقة الواحدة وهذا ما لا يمكن أن ينتجه أي مصنع على وجه الأرض مهما زود بأحدث التكنولوجيا ... ولن يكون لأن الصانع هو الله.

تقوم هذه الأجسام المضادة من النوع جاما جلوبيولين Anlibodies of Gamma globulin التي تقوم بردع هذا الميكروب والتي تفتح أبواب النار عليه ... وتصب وابل القذائف البيولوجية التي لا

تعد ... ولا تحصى هذه القذائف منها ما يقوم بإبطال سموم تلك الميكروبات ... ومنها ما يقوم بتكبيل هذا الميكروب وقيد معصمه ... وتقوم الخلية التائية بالتعاون مع الخلية البائية ﴿ وتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ﴾ ... تقوم باستدعاء قوات أخرى ...

وتقوم بكبح جماح الميكروبات المتبقية ... وكذلك تشد من أزر باقي جيش الدفاع حتى يبذل كل ما عنده دون أن يبخل بشيء ... وكذلك تفرز مواد تعمل على رفع درجة حرارة الجسم حتى يصبح الجسم وسطاً غير مناسب لتكاثر الميكروب وحتى يقل عدده ... وترتفع الحرارة أيضاً لتزداد المعركة شراسة على شراستها.

وماذا بعد المعركة ؟

بعد هذه المعركة الطاحنة يقوم نوع من أنواع خلايا المونوسيت بجمع رفات العدو ويقوم بدفن الشهداء والضحايا وينقذ ما تبقت فيه الروح من الخلايا ويقوم بحمله على الأعناق مهما كان بها من تعب وعناء ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِم وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ هكذا يكون الإيثار ... وهكذا تكون الشجاعة ... وفي النهاية وبعد جمع الرفات تقوم خلية الذاكرة **Memory cell** بتدوين ما دار وما حدث وتقوم بتسجيل أحداثها في سجلات خاصة ... حتى تدرس وتورث فيما بعد إلى الأجيال القادمة من الخلايا لتكون عبرة وعظة لهم وللبشر الذين يعتبرون ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ ... سبحان الله القادر ... الذي كرم الإنسان وأفاض عليه من المشاعر والأحاسيس ... فالإنسان أكرم المخلوقات ... ينبض بالحياة ... ويعتبر ... من أجل هذا فلابد أن نحني رءوسنا خشوعاً للمولى عز وجل . أنه هو الخلاق العظيم .

مديرية الشئون الاجتماعية بالدقهلية
إدارة الجمعيات تسجيل

شهادة

لشهر الجمعيات والمؤسسات الخاصة طبقا
للقانون "٣٢" لسنة ١٩٦٤ م

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالدقهلية أن جمعية أنصار السنة المحمدية بميت سلسيل قد تم شهرها تحت رقم ٧٨٤ بتاريخ ١٣ ٦ ١٩٩٥ م . طبقا للقانون "٣٢" لسنة ١٩٦٤ م . بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية لذلك القانون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير المديرية

عبد الله عبد الرازق

كتب من العريش جمال سعد حاتم

في افتتاح المخيم الإسلامي العالمي الأول بمصر :

شيخ الأزهر :

دور بارز للشباب في مواجهة التحديات والفتن !

الشباب مطالب بتحمل أعباء الأمة والمشاركة في حل قضاياهم!!

وزير الأوقاف :

تصحيح الصورة المشوهة للمسلمين مسئولية الشباب !!

في قطعة غالية من أرض مصر .. وكما يسمونها بوابة مصر الشرقية وعلى أرض العريش أقيم المخيم الإسلامي العالمي الأول في مصر لشباب العالم الإسلامي والذي نظمته الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض بالاشتراك مع المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة والذي حضر افتتاحه كوكبة من رجال الدعوة والفكر والوزراء والمسئولين وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ورئيس المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ، والدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف ، والدكتور مانع الجهني رئيس الندوة العالمية والأستاذ كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة واللواء منير شاش محافظ شمال سيناء . ولفيف من الأساتذة والمحاضرين على رأسهم الدكتور جمال المراكبي ممثلا لجماعة أنصار السنة المحمدية .

وقد أقيم المخيم في الفترة من ٢ | ٧ | ١٩٩٥ إلى ١٢ | ٧ | ١٩٩٥م وسط حفاوة بالغة من الأهالي والمسئولين بمدينة العريش .

شيخ الأزهر يؤكد على أهمية دور الشباب

وأكد فضيلة الإمام الأكبر في كلمته في حفل الافتتاح على أهمية وعظم دور شباب العالم الإسلامي في مواجهة التحديات والفتن المعاصرة التي تعرقل مسيرة الأمة نحو التقدم والبناء والتنمية في شتى المجالات وركز فضيلته على النهوض بالجوانب العلمية والتربوية وتقوية الروابط بين الشباب المسلم في كل مكان .

وقال فضيلته إن الإسلام نظر إلى الشباب نظرة واعية تقوم على حسن التنشئة والتثقيف والتعليم وتحمل المسئولية سواء الذاتية منها أو العامة .

وأكد فضيلته على التعليم والارتقاء به مشيراً إلى أن الرسول ﷺ قد جعل فداء الأسير الواحد في بدر تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة . وطالب الشباب بأن يعدوا أنفسهم علمياً وجسدياً ليحملوا عبأ المستقبل للأمة بكل طموحاته وآماله .

كما أعرب فضيلته عن أمله في أن ينجح الشباب المسلم في مواجهة الفتن الصارخة التي تبعث إليه .

وزير الأوقاف يطالب الشباب بتصحيح صورة المسلمين في العالم

كما طالب د . على محجوب وزير الأوقاف شباب العالم الإسلامي بالقيام بدور فعال في تصحيح صورة المسلمين في العالم والتي شوهت ظلماً وعدواناً وليعلم الجميع أن الإسلام دين حب وسلام وتنمية وبناء بعيداً عن أي نوع من الكراهية والحقد الأعمى مشيراً إلى أهمية الفهم الواعي والمستنير لمبادىء الإسلام الحنيفة . وهو ما يتحقق بالعلم النافع والصحيح .

د. مانع الجهني يعرب عن سعادته بعقد اللقاء على أرض سيناء

وقد أعلن د . مانع الجهني في كلمته عن سعادته البالغة بعقد لقاء الشباب المسلم على أرض سيناء بما تمثله من قيم حضارية ودينية على مر العصور .

أهمية التوعية المستمرة بين الشباب

وأكد الأستاذ كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة على أهمية التوعية المستمرة بين الشباب في إثارة جذوة الإيمان المتزن والعاقل وتوجيه الشباب نحو خدمة القضايا الحقيقية لبلاده .

وقد أعرب اللواء منير شاش محافظ شمال سيناء عن أمله في إقامة معسكر دائم يلتقي فيه الشباب من جميع أنحاء العالم .

أنصار السنة محمدية يرافقون المجلس الإسلامي للدعوة والإغاثة

وفي حديث خاص مع الأستاذ توفيق الشريف لمجلة التوحيد أوضح لنا أنه سوف يحاول جاهداً أن يكون لجماعة أنصار السنة المحمدية حضوراً وتمثيلاً في اجتماعات المجلس وتم الاتفاق بصفة مبدئية على أن تدعى الجماعة لحضور اجتماعات المجلس بصفة مراقب حتى يتم منح العضوية الكاملة لجماعة أنصار السنة في المجلس .

وقد كان لتواجد أنصار السنة ومجلة التوحيد في العريش

عظيم الأثر في نفوس شباب المعسكر الذي ضم ١٥٠ شابا من حوالي ٥٠ دولة، وكذا أهالي العريش وقيادات الأوقاف والأزهر بالمحافظة.

وقد ألقى الدكتور جمال المراكبي محاضرتين في شاب المعسكر عن أثر الإيمان في خدمة قضايا الأمة.. والثانية عن الشورى في الإسلام.

«الأصل أن المؤمن عزيز وقوي وإن ابتلي»

وقد أجاب الدكتور جمال المراكبي عضو لجنة الفتوى بأنصار السنة عن سؤال من أحد الشباب من المخيم بعد محاضرته الأولى عن الفرق بين الصبر والذلة وعن حال المسلمين الذي هم فيه الآن من المصائب وهل تعد ذلة؟.

قال: الأصل أن المؤمن قوي وإن ابتلي وحينما نجد مجتمعات الإيمان في القديم نجد أن هذه المجتمعات أيضاً لم تخلوا من مثل هذه الابتلاءات - فهذا فرعون يتوعد السحرة بعد إيمانهم بتقطيع الأيدي والأرجل وبالصلب في جذوع النخل. وهذا فرعون وهامان وقارون وجنودهم يقولون

● ● ما نحن فيه الآن سببه أننا نفرط، وأننا نبسط، وأننا نضيع.. وهذا البلاء، وهذا الضعف الذي يصيب الأمة في جسدها وفي قطع أعز علينا منها إنما هو بمثابة جرس الإنذار. ولذا يجب أن نتساءل أين نحن من الإيمان؟؟

أقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم، والابتلاء سنة من سنن الله مع المؤمنين ولكن الابتلاء ليس نهاية المطاف وإنما الابتلاء في الإيمان تمحيص لأن الإيمان دعوى - ربما يقولها كثير من الناس ولا يحققها فالله تبارك وتعالى يقيم الحجة على المؤمنين. وعلى المدعين للإيمان بلسانهم يقيمها عليهم بهذا الابتلاء. وبهذا التمحيص. وكما قلنا فإن الابتلاء راجع إلى تفريط وإلى تقصير. وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير. فالمؤمن يبتلى ولكنه لا يستذل.

والمذلة في ترك الإيمان. والمذلة في التفريط في الإيمان. وفي التفريط في مقتضيات وشعب الإيمان. ولكن المؤمن عزيز بالحق. عزيز يقول الحق حتى وإن كان وحده. وإن كان في مجتمع قد رجع أكثره عن الحق فيبقى وحده. لا نقول إنه ذليل، ولكن نقول عنه إنه عزيز بالله.

«من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً»

ويواصل إجابته قائلاً: من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ولله العزة ولرسوله

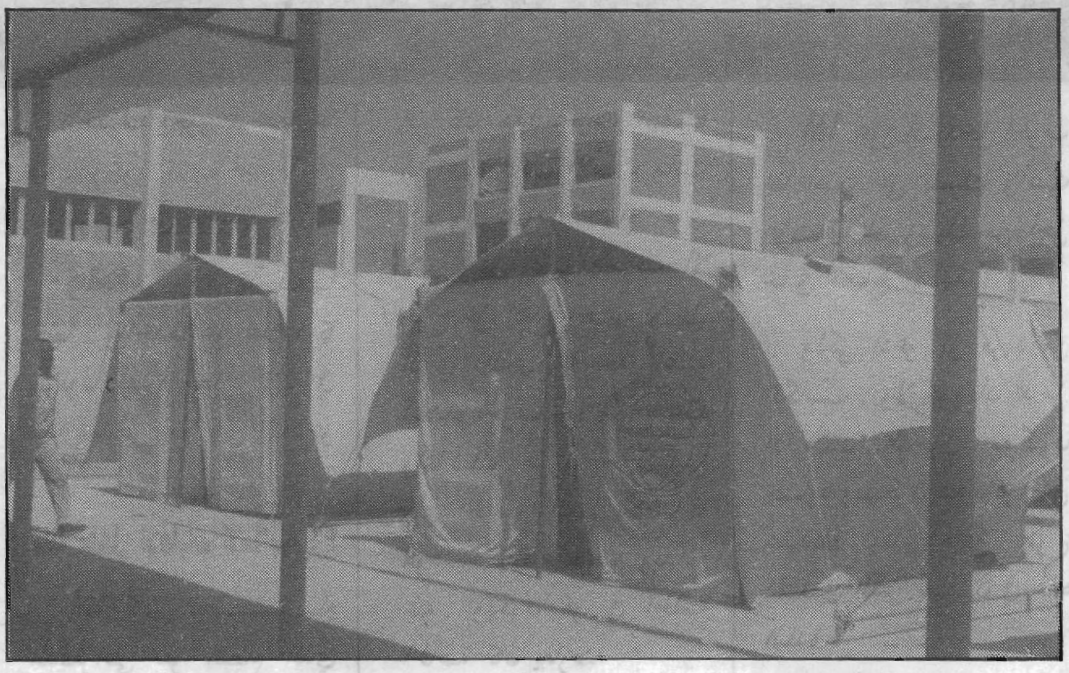

وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ فيظنون أن العزة في غير ذلك من أمور الدنيا .

فما نحن فيه سببه الرئيسي أننا نفرط . وأننا نبسط . وأننا نضيع . ولكن هذا الضعف وهذا البلاء الذي يصيب الأمة في جسدها وفي قطع عزيزة علينا منها أنما هو بمثابة جرس الإنذار . ولذا يجب أن نتسائل أين نحن من الإيمان هل نحن قد استكملنا إيماننا . ؟؟ لو استكملنا إيماننا كجماعة لما تعرض هؤلاء إلى ما تعرضوا له . ؟! .

النظم الديمقراطية . والشورى .

وبعد محاضرته الثانية والتي كانت عن الشورى في الإسلام أجاب فضيلته عن سؤال حول الأقليات الإسلامية في ظل النظم الديمقراطية والدول الإسلامية التي يقطنها جموع المسلمين . وما هو الحكم في ظل الأنظمة الديمقراطية ؟؟ .

أجاب فضيلته قائلاً : إن الدول التي يعيش فيها المسلمين إما أنها دول إسلامية يقطنها جموع المسلمين وإما أنها دول ليست مسلمة وجموع المسلمين فيها أقليات وأكثر ما فيها من غير المسلمين .

بالنسبة للمسلمين .. هل يجوز أن نتبع نظاماً ديمقراطياً .. وأن نجعله أصلاً وأساساً للشورى ؟؟ في الحقيقة أنا أقول ... يجوز أن نستفيد من مزايا النظام الديمقراطي ، لكن لا نتبعه بالكلية نستفيد منه فيما فعلوه .. لأن المسألة في غاية التجارب البشرية .. نحن سبقناهم في الحديث ثم في القديم ثم تأخرنا ... هم سبقونا في هذا العصر في التجارب البشرية .. في تحقيق ما يصلح الناس ، إذا كان هذا الشيء الذي يصلح الناس لا يتعارض مع دين الله عز وجل . وليس في دين الله ما يأبى عنه فيجوز

أن نأخذ منه ويجوز أن نعمل بما فيه ، ويجوز أن نأخذ ما في الديمقراطية من مزايا .

ولكن أن نأخذها كلها ، ونأخذها على علاتها كما يقولون فهذا خطأ . لأن في هذا تعارض مع دين الله عز وجل .

ماذا تفعل الأقليات الإسلامية ؟ !

إذا كان النظام الديمقراطي هو النظام الذي يحكم البلدة التي يعيشون فيها .. هنا هل يجوز للأقليات أن تشارك في الأحزاب لكي تحقق مصالح الأقلية ؟ ولكي تسعى إلى مزيد من المكاسب في هذه البلدة ؟؟ .

أنا أقول إن كان الدخول في الحزب لا يعني أنك تخالف عقيدة الولاء والبراء مخالفة صريحة فيجوز أن تدخل . لكن إن كان هذا الحزب أسسه وقواعده تخالف الإسلام وأنت لابد وأن تقبل الانضمام الحزبي لابد وعلى عضو الحزب ألا يخرج على إجماع الحزب أو على الرأي الذي اقترحه أغلبية أعضاء الحزب . لا تخرج عليه وإنما تتبناه . الوزير الحزبي يتبنى رأي الحزب وإن لم يكن رأيه هو .. يتبناه ويعرضه ويدافع عنه . ويكون هو في الجلسة الخاصة كان يعارضه .

كيف يتبنى ما لم يقترحه وما لم يعرضه هنا المسألة فيها صعوبة شديدة لأنك لو دخلت إلى هذه الأحزاب مع هذا الارتباط الحزبي الذي يقولون عنه ربما قد وجدت قضايا تعادي الإسلام وتضر بالإسلام .

يجوز أن تدخل الحزب إذا أمنت على نفسك ودينك !!

إذاً يجوز أن تدخل الحزب إذا أمنت على نفسك وأمنت على عقيدتك ودينك من أجل تحقيق مصالح الأقلية .

ولكي أدعو إلى مزيد من المكاسب . ولا يجوز أن تدخل إذا كان الدخول سيكون خسارة وسيكون فيه تأثيراً على عقيدتك وتأثيراً على جموع المسلمين الذين يعيشون في هذه البلدة .

أسأل الله أن يرد المسلمين إلى الحق ، وأن ينصرهم ، وأن يقوي شوكتهم ، وأن يعينهم أولاً على أنفسهم ، ثم على شيطانهم ، ثم بعد ذلك فإن النصر على عدوهم هو النتيجة الحتمية لنصر الله للمسلمين على أنفسهم .

جمال سعد حاتم

ثبات النبي ﷺ في غزوة حُنَيْن

البخاري : عن البراء – رضي الله عنه – وقد سأله رجل من قيس : أفَرَرْتُم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ فقال : لكنَّ رسول الله ﷺ لم يفرَّ . كانت هوازن رماة . وإنا لمَّا حملنا عليهم انكشفوا . فأكببنا على الغنائم . فاستُقْبِلنا بالسهام . ولقد رأيت الرسول ﷺ على بغلته البيضاء . وإن أبا سفيان بن الحارث آخذٌ بزمامها . وهو يقول : « أنا النبيُّ لا كذب » أبو سفيان هذا هو ابن الحارث بن عبد المطلب . ابن عم الرسول ﷺ .

من أعلام الدعوة :

[١]

العلامة محمد حامد الفقي

مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

١٣١٠هـ - ١٣٧٨هـ - ١٨٩٢م ١٩٥٩م

بقلم الشيخ /
فتحي عثمان
مدير الدعوة والإعلام

والده : الشيخ سيد أحمد عبده الفقي . كان زميلاً في الدراسة بالأزهر للأستاذ الشيخ محمد عبده . بل كان يساكنه في بيت واحد بشارع الباطنية .

والدته : كانت السيدة الوحيدة في القرية التي تحفظ القرآن الكريم وتجيد القراءة .

مولده : ولد في قرية جزيرة نكلا العنب[1] في سنة ١٣١٠ هـ الموافق ٢٥ / ٣ / ١٨٩٢ م (وقد نقش هذا التاريخ على ذراعه الأيسر بالوشم) .

نشأته : حفظ القرآن الكريم وقد أتم حفظه في شهر رمضان في سنة ١٣٢٢ هـ وقد كانت سنهُ وقتذاك اثنى عشر عاماً . وقد هيأه والده لتلقي العلوم بالأزهر على الطريقة التي كانت وقتذاك .

دخوله الأزهر : بدأ دراسته بالأزهر في شهر شوال سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) ، كان يحب أن يقيد حنبلياً وأبى ذلك شيخ الحنابلة فانتسب للأزهر حنفياً وبعد أن أمضى في دراسته بالأزهر قرابة ست سنين بدأ في سنة ١٩١٠ م بدراسة الحديث والتفسير ، ولما أمعن الشيخ في دراسة الحديث على الوجه الصحيح ، دعا إلى التمسك بسنة الرسول الأعظم لفظاً ومعنى وروحاً وهنا التف حوله نفر من إخوانه اتخذوه شيخاً لهم ، وهذا يدل على نبوغ الشيخ المبكر حيث لم يتجاوز سنه وقتذاك ثمانية عشرة عاماً .

تخرجه : تخرج - رحمه الله - في الأزهر الشريف حيث نال شهادة العالمية سنة ١٩١٧ م وعمره ٢٥ عاماً وانقطع منذ تخرجه إلى خدمة كتاب الله وسنة رسوله الأمين .

أنشأ جماعة أنصار السنة المحمدية في عام ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م تقريباً واتخذ لها داراً بعابدين ولقد حاول كبار موظفي قصر عابدين بكل السبل صد الناس عن مقابلته والاستماع إليه حتى سخَّروا له من شرع في قتله ولكن

صرخة الحق أصمت آذانهم وكلمة الله فلت جموعهم وانتصر الإيمان الحق على البدع والأباطيل . (مجلة الشبان المسلمين رجب ١٣٧١ هـ) .

تأسيس مجلة الهدي النبوي : بعد أن أسس الشيخ رحمه الله جماعة أنصار السنة المحمدية وبعد أن يسر الله له قراءة كتب الإمامين ابن تيمية وابن القيم واستوعب ما فيها ووجد فيها ضالته ، أسس عام ١٣٥٦ هـ ١٩٣٦ م ، مجلة الهدى لتكون لسان حال جماعته والمعبرة عن عقيدتها والناطقة بمبادئها . وقد تولى رياسة تحريرها فكان من كتاب المجلة على سبيل المثال لا الحصر : الشيخ أحمد محمد شاكر ، الأستاذ محب الدين الخطيب ، والشيخ محيي الدين عبد الحميد ، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح ، (أول إمام للحرم المكي) ، والشيخ أبو الوفاء محمد درويش ، والشيخ صادق عرنوس ، والشيخ عبد الرحمن الوكيل ، والشيخ خليل هراس . كما كان من كتابها الشيخ محمود شلتوت .

وقد حدد الشيخ أغراض المجلة فقال في أول عدد صدر فيها :

« وإن من أول أغراض هذه المجلة أن تقدم ما تستطيعه من خدمة ونصح وإرشاد في الشئون الدينية والأخلاقية ، أخذت على نفسها موثقاً من الله أن تنصح فيما تقول وأن تتحرى الحق وأن لا تأخذ إلا ما ثبت بالدليل والحجة والبرهان الصحيح من كتاب الله تعالى وحديث رسوله عليه الصلاة والسلام » ا.هـ .

جهاده : يقول عنه الشيخ عبد الرحمن الوكيل : « لقد ظل إمام التوحيد (في العالم الإسلامي) والدنا الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله - أكثر من أربعين عاماً يجاهد في سبيل الله ، ظل يجالد قوى الشر الباغية في صبر ، مارس الغلب على الخطوب واعتاد النصر على الأحداث ، وإرادة تزلزل الدنيا حولها ، وترجف الأرض من تحتها ، فلا تميل عن قصد ، ولا تجبن عن غاية ، لم يكن يعرف في دعوته هذه الخوف من الناس ، أو يلوذ به ، إذ كان الخوف من الله آخذاً بمجامع قلبه ، كان يسمي كل شيء باسمه الذي هو له ، فلا يُدْهن في القول ولا يداجي ، ولا يبالي ولا يعرف المجاملة أبداً في الحق أو الجهر به ، إذ كان يسمى المجاملة نفاقاً ومداهنة ، ويسمى السكوت عن قول الحق ذلاً وجبناً .

عاش رحمه الله للدعوة وحدها قبل أن يعيش لشيء آخر . عاش للجماعة قبل أن يعيش لبيته ، كان في دعوته يمثل التطابق التام بين الداعي ودعوته . كان صبوراً جلداً على الأحداث ، نكب في اثنين من أبنائه الثلاث فما رأى الناس منه إلا ما يرون من مؤمن قوي أسلم لله قلبه كله[٢] .

ويقول الشيخ أبو الوفاء درويش : « كان يفسر آيات الكتاب العزيز فيتغلغل في أعماقها ، ويستخرج منها درر المعاني ، ويشيعها بحثاً وفهماً واستنباطاً ، ويوضح ما فيها من الأسرار العميقة والإشارات الدقيقة والحكمة البالغة والموعظة الحسنة . ولا يترك كلمة لقائل بعده . بعد أن يحيط القارىء أو السامع علماً بالفقه اللغوي للكلمات وأصولها وتاريخ استعمالها فيكون الفهم أتم والعلم أكمل وأشمل » .

قلت : لقد كانت آخر آية فسرها قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَيَدْعُو الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ﴾ وقد فسرها رحمه الله في عدد ٦ ، ٧ لسنة ١٣٧٨ هـ في حوالي ٢٢ صفحة .

إنتاجه : إن المكتبة العربية لتعتز بما زودها به من كتب قيمة مما ألف ومما نشر ومما صحح ومما راجع ومما علق وشرح من كتب الإمام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما .

وكما كان الشيخ محباً لابن تيمية وابن القيم فقد جمعت تلك المحبة لهذين الإمامين الجليلين بينه وبين الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر ، وكذلك جمعت بينه وبين الشيخ شلتوت الذي جاهر بمثل ما جاهر به الشيخ حامد .

وفاته : توفي رحمه الله فجر الجمعة ٧ رجب ١٣٧٨ هـ الموافق ١٦ يناير ١٩٥٩ م على إثر عملية جراحية أجراها بمستشفى العجوزة ، وبعد أن نجحت العملية أصيب بنزيف حاد . وعندما اقترب أجله طلب ماءً للوضوء ثم صلى ركعتي الفجر بسورة الرعد كلها . وبعد ذلك طلب من إخوته أن ينقل إلى دار الجماعة حيث توفى بها . وقد نعاه رؤساء وعلماء من الدول الإسلامية والعربية ، وحضر جنازته واشترك في تشييعها من أصحاب الفضيلة وزير الأوقاف ، والشيخ عبد الرحمن تاج ، والشيخ محمد نور الحسن ، والشيخ محمد حسنين مخلوف ، والشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، والشيخ أحمد حسين ، وجميع مشايخ كليات الأزهر وأساتذتها وعلمائها ، وقضاة المحاكم .

إخوة الشيخ : محمد شية الحمد ، ومحمد شاكر المحاميين ، والشيخ محمد النعماني من العلماء ، والحاج محمد رشيد رضا التاجر .

أبناؤه : الطاهر محمد الفقي ، وسيد أحمد الفقي ، ومحمد الطيب الفقي وهو الوحيد الذي عاش بعد وفاة والده .

وكتبه تلميذه
فتحي أمين عثمان
وكيل الجماعة

(١) قرية جزيرة نكلا العنب – مركز شبراخيت – محافظة البحيرة تبعد ١٢٨ كم من القناطر الخيرية .
(٢) هما الطاهر ، وسيد أحمد ، وقد توفى الأول وأبوه في رحلة الحج ، وأما الثاني فقد مات فجر الجمعة ١٨ ذي القعدة عام ١٣٧٧ هـ فخطب الشيخ الجمعة بالناس ووعظهم – ثم طلب منهم البقاء على أماكنهم حتى يصلوا على أخيهم .

باب الأدب

لا تأخذه فى الله رهبة

فضيلة الشيخ
السيد عبد الحليم محمد حسين
ماجستير فى الأدب العربى

سيف الحجاج مصلتٌ يرعد ، وينذر ويتوعد ، ويحكم فى الرقاب فلا معقب ـ وقد جلس الحجاج فى مجلس بؤسه وأدار أفلاك نحسه ، وهو من تمرس بالشدائد حتى هانت عليه ، وشهد القتل حتى مايبالى به ، ساعة صرّح فيها الشر وكشرت المنية ، وحسبك ببطش الحجاج الذى يوحى إلى كل قلب رعبه ويقص على القريب والبعيد مضحق .

قُدّمت إليه أسارى «الجماجم»[1] وقد أمره الخليفة فيهم أن يقتل من لا يُقرُّ على نفسه أنه كفر إذ خرج على الخليفة مع ابن الأشعث . رأى كل أسير أن فى الإقرار فرجا ، وفى التعريض لمن يأبى التصريح مخرجاً . سئل الشعبى ، فقال : أصلح الله الأمير ، نبا بنا المنزل ، وأحزن بنا الجناب ، واستحلْنا الخوف ، واكتحلْنا السهر ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء . وسئل مطرِّف بن عبدالله ، فقال : أصلح الله الأمير إن من شق العصا وسفك الدماء ، ونكث البيعة ، وفارق الجماعة ، وأخاف المسلمين ، لجدير بالكفر . . . وأنت ياسعيد بن جبير ! إن لك فى القوم أسوة ، ولك فى القرآن رخصة هذا سيف الحجاج وبطعه ، وذاك جبروته وبطشه . الحجاج من لا تأخذه هوادة ، ولا ينثني إذا اعتزم ، فأبق على نفسك بكلمة ، كلمة لا تضيرك في دين ولا دنيا : تقدَّمْ فصرحْ بالكفر مكرها ، أو فعرض فإن فى المعاريض متَّسعًا ، لا تتردد ، فإن سيف الحجاج لا يمهل . ولا تُبطىء فإن الحجاج لا يؤاير .

لا ! لا ! سعيد يأبى ، سعيد يصمم أن يقول ما يكنّه فؤاده . سعيد يربأ بنفسه أن تعرِّض فى الحق ، سعيد يحقر الحياة ، ولا يرهب الموت ، سعيد لا تأخذه فى الله رهبة . ويحك ياسعيد ! إنهم ينادونك . فالله الله فى نفسك وأولادك ، والعلم الذى فى صدرك . إن الأمر لأهون من أن تقتل فيه . فالآن فاختر : إما الحياة وإما الموت .يتقدم سعيد مزدريا بكل شىء إلا الحق . يمثُل سعيد بين يدى الحجاج . سئل أتقر على نفسك بالكفر ؟ فقالها كلمة أكبر

من الحجاج وأعوانه ، وعبد الملك وسلطانه وأكبر من كل جبروت فى الأرض . قالها ليشترى الحق ويبيع الحياة . أجاب سعيد ساخرًا بالجنود والأعوان ، والسيف والسلطان ، قد ملك عليه الحق عقله وقلبه ولسانه . . .

قال : « ماكفرت بالله مذ آمنت به » .

هوى رأس سعيد عن جسده .قذف سعيد برأسه فى وجه الجبروت ، وقدمه ثمنًا للعقيدة والإباء . . .

سعيد بن جبير لم يذله مطمع ، ولم يملكه خوف ، ولا أزرى به ملق ، ولاباع نفسه بثمن بخس ولا طأطأ نفسه لجبروت . ولكنه كره الحياة ، ورغب فى الموت ، ليقول ما يعتقد بين السيف والنطع ــ فاعتبروا يا أولى الأبصار .

من القوم قد اجتمعوا فيها على أمر جلل . وأمل بعيد ، قد اعتزموا اقتحام الصعاب، ومجالدة الأهوال ، وتحدَّثُوا بقلب العالم رأسا على عقب من هؤلاء التلاميذ الذين أنبتتهم الصحراء ، وأخلص ماؤها وهواؤها ، وشمسها وهجيرها ، وبردها وزمهريرها ، فكانوا كروضة الحزن سقاها الحيا ، وأنضرتها الشمس ، والريح فى قنّة لا عهد للأنيس بها ؟ من هؤلاء العرب قد جلسوا فى أسمالهم ، وأصغوْا إلى معلمهم يأخذون الحكمة فتتمكن من سرائرهم ، فإذا هى خلق وسجية ، وإذا هى الأمل والعمل ، وإذا هى سعادة الأولى والآخرة ؟ واعجباً لقوم ضعاف فقراء يتهيئون لما لا قبل لهم به ! يريدون أن يكونوا أساتذة العالم وسادته ؟ ولولا كرم فى نفوسهم ، وحكمة فى أفعالهم . لقلنا بهم الطيش والغرور .

إن الإنسان ليقف فى أمرهم بين الإعجاب والسخرية ! دعهم فى قريتهم ، وننظر الحوادث تأخذ مجاريها ، ثم انظر إليهم بعد أعوام تر التلاميذ الضعاف قد أخذوا كتابهم وسيوفهم ، واستووا على صهوات خيولهم . وتطاولوا إلى هداية العالم كله ، وحكم الناس أجمعين ! ! دعهم فى آمالهم البعيدة . وأمانيهم العظيمة ، ثم أبصرهم بعد سنوات قليلة ، وقد خفقت أعلامهم فى مشرق الشمس ومغربها ، ودان لهم كل طيّع وعصىّ . وإذا العالم ملؤه الإعجاب والخوف ، والمحبة والفزع . وإذا هم شرر قد انبعث فأصاب الفطر الصالحة فكان نورًا وأصاب النفوس العليلة والأخلاق السقيمة فكان فى هشيمها نارًا ! . ثم انظر إليهم فإذا بهم على العروش وقد ورثوا ملك الأرض ، وأحسنوا السياسة ، وقادوا الناس بالحسنى ، ثم دفعوهم إلى الخير ، وهدوهم إلى الإحسان ! وإذا صفحة من الإحسان ليس للناس بها عهد من قبل .وإذا كتاب فى تاريخ المدنية لم تقو على فصوله من قبلهم أمم الأرض قاطبة .

(١) وقعة دير الجماجم كانت بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث الخارج على الخليفة عبدالملك بن مروان .

بقلم
فضيلة الشيخ / محمد رزق ساطور
مدير إدارة التعليم وشئون القران

دروس وعبر من قصة سليمان

باب السيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة السلام على رسول الله وآله ومن والاه وبعد :

خامس عشر :

في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ .

تجمع المرأة الملأ من قومها لتعرض عليهم ما طرأ عليها فيما يخص الرعية ، وهي تبلغهم آخر ما وصل إليها لا تكتم عن الرعية أمراً .

ثم وصفت هذا الكتاب بأنه كريم حسن لما فيه من لين القول والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله سبحانه من غير أن يتضمن سباً أو لعناً ، وهذا الكتاب يستحق أن يعرض على الملأ ، حتى تخرج بقرار يكون معبراً عن الجميع ، وهذا يدل على رجاحة عقل تلك المرأة وأنها مع بعدها عن الله وعن دينه ، ومع عبادتها للشمس من دون الله ، فهي تنشد قيماً معينة - وإن كانت عندنا ليست قيماً - إلا أنها تحترم نفسها وتقدر قومها بل حريصة عليهم ، ومع اختلاف الأحوال والأزمان نرى كثيراً من الحكام لا يعبأون بالرعية ولا يحترمون عقولهم ، فتراهم يجهزون القوانين في السر ويعرضونها سريعاً للتصديق دون فهم أو دراسة ، ولذلك ترى التناقض الذي يميت الإحساس ويشعر بالأسى والمرارة ، وفي أحد العصور حدث أن وقعت كارثة تصادم قطار مع أتوبيس سياحي ومات عدد كبير من الركاب ، ولما جاء المسئول الكبير إلى موقع الحادث سأل أول ما سأل : هل مات أحد من الأجانب ؟ قالوا له : لا فقال إذاً الحمد لله ، يموت المصريون لا بأس ، ولا يسأل عنهم أحد ، ولا يتأثر بهم أحد ، فإذا كان المصري في بلده لا يحترم ولا يحزن عليه ، فهل نطلب من الدول الأخرى أن تقدرنا أو تعاملنا كالبشر .

سادس عشر : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ .

لقد بعث نبي الله سليمان هذه الرسالة يدعوهم فيها إلى الإسلام ، فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه لخلقه فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] ، وقال : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، وقال

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ [المائدة : ٣] ، فالإسلام هو الدين الحق الذي أمر الله به كل الخلق ، فهذا نبي الله نوح عليه السلام يدعو قومه فيقول لهم كما قال سبحانه ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٧٢] وموسى عليه السلام دعا قومه للإسلام قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٨٤] ، وإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يدعوان الله سبحانه كما قال : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ ﴾ [البقرة ١٢٨] ، وقال جل ذكره : ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ، أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَاتَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢ ، ١٣٣] .

وعيسى عليه السلام دعا أتباعه إلى الإسلام ، قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٢] ونفى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أن يكون يهودياً أو نصرانياً فقال : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٧] ولقد اعترف الجن بذلك فقال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ [الجن : ١٤] .

ولما آمن السحرة برب العالمين وهددهم فرعون بالقتل والتنكيل قالوا كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٦] ، ويوسف عليه السلام يقول عنه سبحانه : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

فسليمان عليه السلام يدعوا المرأة وقومها للإسلام حتى يفوزوا في الدنيا والآخرة ، ويبدأ رسالته بإنه من سليمان قبل البسملة لاحتمال أن يبدر من المرأة ما لا يليق إذ كانت كافرة ، وكان من عادة أهل الكفر أن إذا دعاهم أحد قابلوه بالسب والشتم واللعن ، ولذلك جعل سليمان عليه السلام اسمه وقاية لاسم الله عز وجل .

سابع عشر : في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ فهي تريد أن تشركهم في الأمر وتشاورهم إما استعانة بآرائهم أو مداراة لهم ، فهي تريد أن تختبر عزمهم على مقاومة عدوهم ، وحزمهم فيما يقيم أمرهم ، لأنها إن لم تتيقن أنهم سيبذلون المال والدماء فلا طاقة لها إذاً لملاقاة الأعداء ، فهي تريد أن تكون على بصيرة من الأمر وهذا حال القائد المستبصر الذي يقدر للأمور قدرها قبل أن تدخل في غمارها ولذلك فالجبهة الداخلية هي الأصل في المواجهة الخارجية ، والمرأة تطلب منهم الفتوى في ذلك ، فهي لا تدعي معرفة كل شيء ، ولكنها تعرض الأمر على أهل التخصص حتى تأتي النتيجة مثمرة ، فالشعارات وحدها لا تكفي ، لأن الأمر جد يتطلب الصدق .

ثامن عشر : في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ .

أجابوها إلى مقصودها وكأنهم يقولون لها أقدمي على الحرب والحزم فنحن من ورائك بقوة الأجسام والآلات والثبات في الحرب ، فنحن أصحاب القوة الذاتية والعرضية ، وكذلك إن أردت السلم فنحن معك .

تاسع عشر : في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ .

وهذا حال ملوك أهل الأرض إتلاف وفساد وخراب ودمار للأخضر واليابس ، إذا دخلوا بلداً أفسدوا وخربوا عمارتها وما فيها من أموال كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر ٦ : ١٤] ، انظر كيف فعل التتار بالمسلمين وديارهم وأموالهم وما انتهك من حرمات ، وانظر إلى الصليبيين في حربهم ، وكيف فعل أهل الكفر في ديار المسلمين ، في البوسنة ، وفي الشيشان ، وفي فلسطين ، وفي كشمير ، وفي كل بقاع الأرض ، هذا حالهم فساد ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وهذا دأبهم وطريقهم .

عشرون : في قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ .

أرادت المرأة أن تستوثق من الرسالة لتتعرف على مرسلها هل هو يريد دنيا أم حقاً يريد دلالتهم على الله رب العالمين فأرسلت الهدية فردها نبي الله سليمان ليعلمها أنه نبي ، والنبوة لا تقارن بالمال وهذا لزيادة حرصه عليه السلام على هدايتهم وأجابهم بما يطمئنها ويأتي بها مسلمة لله رب العالمين .

حادي وعشرون : في قوله تعالى : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۝ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ .

بالمقارنة بين قول عفريت من الجن وبين قول الذي عنده علم من الكتاب ، تجد أنه حينما يقل العلم يمدح الإنسان نفسه ويزكيها ، أما إذا اكتمل العلم ابتعد صاحبه عن مدح نفسه ، ولذلك قال الأول ﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ مدح نفسه ليكمل تقصيره بالمدح ، لكن العالم لا يحتاج لمثل ذلك فانتبه .

ثاني وعشرون : في قوله تعالى ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

لقد وفق الله تلك المرأة لطريق الهداية فتيقنت أن نبي الله لا يريد إلا الحق ولا يقول إلا الصدق ، أما ملوك الدنيا الذين جرفتهم الزينة المؤقتة والملابس المزينة والمساكن العالية والمراكب الفارهة ، والأطعمة المتعددة ، فقد ظلموا أنفسهم بأنفسهم في الشهوات ، وارتكابهم الموبقات ، وابتعادهم عن طريق الله ، لقد ظلموا أنفسهم حين عبدوا غير الله ، وسجدوا للشمس من دون الله وقدسوا الأشخاص ، لقد ظلموا أنفسهم حين جاءوا في الأحكام وتسلطوا على خلق الله ، فأكلوا أموال اليتامى ظلماً ، ولم يرحموا الصغير ، ولم يوقروا الكبير ، أهانوا المرأة حين تركت عشها وبيتها وزوجها وأبناءها وخرجت للطرقات استشرفها الشيطان فزينها للرجال ، فانتشر الزنا وكثرت الخيانة وعم

البلاء .

لقد ظلم ملوك الدنيا أنفسهم حينما ابتعدوا عن شرع الله المحكم وحكموا بغيره ظلماً وعلوا ، ولذلك فإن هذه المرأة انتفعت بعقلها ووفقها الله لطريق الهداية لأنها أرادته وسلكته فاعترفت ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ ما أحوج الحكام أن يقولوها ليتقبل منهم ، خاصة وأن الدنيا مهما طالت فلابد من الموت إذا رأى الحاكم أنه تسبب في شياع المنكرات وانتشار الموالد وارتكاب الفواحش فيها لأنه أذن وصرح لمثل تلك الموبقات أن تقوم ، بل إنه تسبب في شيوع الموبقات بترك إقامة الحدود ، وبإغفاله عن الخمارات والبارات والملاهي وما يحدث فيها ، ما تسبب فيه من اختلاط وعرى وسفور في الطرقات والمواصلات ما جرى تحت سمعه وبصره من نفاق وتزوير وكذب وافتراء ، إذا علم الحكام ذلك كله كان عليهم أن يقولوا هذه المقولة الطيبة ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ ثم دخلت المرأة في دين الإسلام ، لا في الصلاة والدعاء فقط ولكن الإسلام عقيدة صحيحة وعبادة صحيحة ومنهج قويم يحكم الحياة بشرع الله لا بأهواء البشر ، ما أحوجنا إلى أن نعتذر إلى الله عن ظلمنا وتقصيرنا ثم نتوجه إليه سبحانه ليغفر ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وليهدينا إليه صراطاً مستقيما حتى نكون من أهل السعادة في الدنيا وفي الآخرة ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٦] . آمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

محمد رزق ساطور

البركة من الله عز وجل

البخاري : عن جابر – رضي الله عنه – قال : إنا يوم الخندق نَحْفِرُ . فعرَضَت كُدْيةٌ شديدةٌ . فجاءُوا النبيَّ ﷺ فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق فقال : « أنا نازلٌ » ثم قام وبطنه معصوبٌ بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا . فأخذ ﷺ المِعْوَل فضرب . فعاد كثيبًا أهيل . فقلتُ : يا رسول الله ائذن لي إلى البيت . فقلت لامرأتي : رأيتُ بالنبيِّ ﷺ شيئًا ما كان في ذلك صَبْرٌ فعندك شيءٌ ؟ قالت : عندي شعيرٌ وعناق – أنثى المعز – فذبحت العناق . وطحنت الشعير . حتى جعلنا اللحم في البُرمة . ثم جئتُ النبيَّ ﷺ والعجين قد انكسر . والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج. فقلتُ : طُعَيِّمٌ لي . فقُمْ أنتَ يا رسول الله ورجلٌ أو رجلان . قال : « كَمْ هو » فذكرت له . قال : « كثيرٌ طيبٌ قل لامرأتك لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي » . فقال للقوم : « قوموا » فقام المهاجرون والأنصار . فلما دخل على امرأته قال : ويْحك . جاءَ النبيُّ ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومَنْ معهم . قالت : هل سألك ؟ قلتُ : نعم . فقال : « ادخلوا ولا تضاغطوا » فجعل ﷺ يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم . ويخمِّرُ البرمة والتَّنُّور . إذا أخذ منه . ويقرِّب إلى أصحابه . ثمَّ ينزع . فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا . وبقيت بقية . قال : « كُلِي هذا وأهدي . فإنّ الناس أصابتهم مجاعة » . وفي رواية : كانوا ألفًا .

وعند البخاري : من دعائه ﷺ على الأحزاب : « اللهمَّ منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب . اللهمَّ اهزمهم وانصرنا عليهم » .